وزراة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية **قسم : العلوم الإنسانية**

التجارة بين بلاد النوبة و مصر القديمة (2900 - 1085) ق.م

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر

في التاريخ تخصص الحضارات القديمة

إعداد الطالب: **الأستاذ المشرف:**

أيمن مشانة **أ د.محمد رشدي جراية**

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتساب
د/ التجاني مياطة	أستاذ محاضر أ	رئيس اللجنة	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
أ /د محمد رشدي جراية	أستاذ تعليم عالي	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
أ/ عمر بوصبيع	أستاذ مساعد	مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/ 2019-2020م

إهداء

إلى روح الملاكان إبنيي أخي عادل عبد الحكيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أما بعد :

أتوجه بجزيل الشكر إلى أستاذي المشرف البروفيسور محمد رشدي جراية إمتنانا وتقديرا لصبره وتشجيعه الدائم لي لإتمام هذه المذكرة دافعا إياي على تحدي الظروف والمعيقات.

كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة لتفضلهم بقبول مناقشة هذا العمل وسد خلله وتقويم عوجه، راجيا من الله تعالى أن جعل ذلك في ميزان حسناتهم أجمعين.

كما أوجه شكري لأستاذي بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزيعة البروفيسور رضا بن عمار على ما كان منه من دعم وتوجيه سائلا المولى أن يحفظ عليه صحته ويزيده من فضله.

قائمة المختصرات

أولا/ بالعربية

الرمز	دلالته
تر	ترجمة
تح	تحقيق
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
ج	جزء
مج	مجلد
تق	تقديم
م	ميلادي
هـ	هجري
ق.م	قبل الميلاد
د د ن	دون دار نشر
د ت	دون تاريخ
مر	مراجعة
تع	تعريب
ع	العدد

ثانيا/باللغة الاجنبية:

OP.cit:	Opere_citato(auvrage cite)•
P	Page

المقدمة

تميل أكثر الدراسات التاريخية التي تعنى بتاريخ مصر القديم إلى التركيز على الروابط التجارية المصرية والأوراسية والهندية والصينية وجنوب شرق آسيا. بينما تحظى الروابط الإفريقية باهتمام أقل، على الرغم من كل الاكتشافات التي تؤكد أن جذور هذه الحضارة ضاربة في أعماق أفريقيا، بل لم تحظ حضارات إفريقيا عامة بدراسات شاملة للتاريخ الاقتصادي، وقد دلت الكشوفات والكتابات الحديثة على ثراء هذه المنطقة بأفكار اقتصادية جديرة بالاهتمام، لعل من أبرزها تلك العلاقات المتبادلة بين مصر وإفريقيا جنوب الصحراء و التي كانت النوبة مركزا لهذا التفاعل الحضاري مساهمة بالقدر الكبير في تعزيز هذه الروابط القارية، ومشاركة من جهة أخرى في التجارة العالمية ، وهي التي ارتبطت بمصر منذ أقدم العصور عن طريق النيل والطرق الصحراوية التي كانت تمر بالواحات الغربية وقد كان هذان العاملان دورا في جعل بلاد النوبة أوثق صلة بمصر من غيرها من البلدان .

إشكالية الدراسة:

تتمحور إشكالية الدراسة في محاولة جادة لدراسة تاريخ تطورعلاقة مصر القديمة بأقرب جيرانها من جهة الجنوب الإفريقي أي بلاد النوبة وكيف أثرت التجارة على علاقة البلدين الحضارية والاقتصادية.

وقد روادتنا إشكاليات رئيسية رأيناها جديرة بالطرح والمعالجة ونسجلها في ما يلي :

ما هي أهم التطورات التي عرفتها التجارة بين بلاد النوبة و مصرالقديمة، وما هي أهم واردات التجارة النوبية على مصر وما مدى مساهمتها في نهضة مصر في عهد الأسرات الفرعونية القوية؟

وقد لحقتها تساؤلات فرعية ينبغي الإجابة عليها جاءت كالتالي :

متى وكيف بدأت علاقة مصر بأقرب جيرانها من جهة الجنوب ؟ وكيف أصبحت النوبة طريق مصر التجاري والثقافي نحو باقي القارة الإفريقية ؟

وهذا مانصبوا جاهدين للإجابة عليه في بحثنا هذا، راجين أن يكون هذا العمل مساهما ولو بقدر يسير في ملء الفراغ الذي يقابل المهتمين والباحثين عن معرفة تاريخ النوبة وأقاليم جنوب

القارة الإفريقية وهي أقاليم لا تلق اهتماما كبيرا من طرف الباحثين خاصة في العصور القديمة منها؛ مكتفيا بهذا الجانب المتعلق بتاريخها الاقتصادي التجاري مع أكبر حضارات العالم القديم وهي الحضارة المصرية .

أسباب إختيار الموضوع:

ويرجع سبب إختياري لموضوع التجارة بين بلاد النوبة ومصر القديمة في إلى جملة من الأسباب الداتية والموضوعية لعل أهمها:

رغبة خاصة لدراسة موضوع ينتمي لحضارة كبيرة من حضارات العالم القديم وهي حضارة مصر الخالدة، وكذلك رغبة في الاطلاع على تاريخ مناطق لا يهتم بها كثير من الباحثين في التاريخ القديم وهي النوبة لكونها إحدى بوابات إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى .

إضافة إلى كون المراجع لم تعنى عناية كبيرة في تخصيص موضوع بحثنا بدراسة مخصصة، وكان أغلب ما كتب يحمل طابع العموميات لا التخصيص.

مناهج الدراسة :

وبالنظر إلى طبيعة الموضوع المقترح فإننا اعتمدنا على المنهج السردي الوصفي الذي يتلائم وسرد المادة العلمية التاريخية، وكذلك المنهج المقارن لمقارنة تطور العلاقة التجارية في مختلف العصور التاريخية المدروسة.

الخطة المتتبعة للدراسة:

مستعينا بالشواهد الأثرية؛ وبناء على ما استقيناه من مادة علمية في كل ما جاءت به المصادر والمراجع المختلفة قسمنا هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول وخاتمة كالآتي:

الفصل الأول وتناولت في المبحث الأول أصل تسمية وموقع كل من حضارة بلاد النوبة ومصر القديمة القديمة، كما قمت في المبحث الثاني بدراسة تطور الصلات التاريخية بينهما، بينما خصصت الفصل الثاني لدراسة حالة المنطقتين الاقتصادية وما أفرزه العامل الاقتصادي من علاقة تكامل بين الجانبين، أما الفصل الثالث فقد تضمن ثلاث مباحث عنيت كل منها بوصف

تطور المبادلات التجارية في كل عهد من عهود الأسرات المصرية حتى الأسرة العشرون أي منذ بداية الدولة المصرية القديمة إلى نهاية الدولة المصرية الحديثة، وخاتمة تضمنت أبرز النتائج والاستنتاجات مما تم رصده من آراء وأحكام داخل مضمون البحث.

المراجع المعتمدة في الدراسة:

أما المراجع التي كان اعتمادنا عليها في بحثنا فكانت كالآتي:

سليم حسن في موسوعته القيمة مصر القديمة وهي شاملة لكل تاريخ مصر وحملت أجزاه خاصة الجزء الثاني والعاشر مادة قيمة عن تاريخ النوبة وعلاقتها بمصر من مختلف الجوانب وقد استفدت منه في وصف حالة النوبة في كل عهد من عهود الدولة المصرية.

ومنها موسوعة تاريخ أفريقيا العام وخاصة المجلد الثاني منها تحت إشراف د. جمال مختار؛ والذي عني بالحضارات القديمة في أفريقيا وقد تضمن دراسات مهمة عن أهمية النوبة وكونها حلقة اتصال بين دول وسط أفريقيا ودول الساحل الأفريقي خاصة مصر، إضافة إلى كونها أفادت في عرض معلومات قيمة عن ثقافات النوبة قبل بروز مملكة نباتا بين (3100 - 750) قبل الميلاد.

كما استفدت من المرجع المهم عن تاريخ السودان والنوبة للباحثين الدكتور محمد رياض والدكتورة كوثر عبد الرسول بعنوان : رحلة في زمان النوبة: دراسة للنوبة القديمة ومؤشرات التنمية المستقبلية والتي سجلت تاريخا موجزا عن ثقافات بلاد النوبة القديمة والحديثة.

هذا إضافة إلى الاستفادة من كتاب محمد أبو المحاسن عصفور، بعنوان: علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى الفتح اليوناني في الكثير من المحطات من الدراسة خاصة في مقارنة تطور علاقة مصر بالنوبة.

إضافة إلى رسائل علمية أبرزها الرسالة المعدة من طرف الباحثة: أمينة عبد الفتاح محمد السوداني بعنوان « المناجم والمحاجر في مصر القديمة » والتي وصفت مناطق تواجد مناجم أثمن المعادن في المنقطة التي سيطرت عليها مصر منذ بداية الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة.

كما أفدت من المقالة المهمة للباحثة إيمان شمخي جابر بعنوان « التجارة في مصر القديم أيام الدولة القديمة والوسطى والحديثة » حيث أبرزت تفاصيل علاقات مصر التجارية مع العديد من البلدان المجاورة والبعيدة وأبرز وارداتها فضلا عن تصديرها للمواد والسلع الفائضة عن حاجتها.

كما اعتمدت على جملة من مراجع أجنبية منها الدراسة المهمة للباحثة Henriette Hafsaas بعنوان« Trade along the Nile The Earliest Cross-Cultural » أي « أقدم تجارة عبر الثقافات على طول نهر النيل » وهي تعنى بتوصيف البدايات الأولى الباكرة للعلاقة التجارية القائمة بين مصر القديمة و سكان الثقافة الباكرة بالنوبة، والتي كان حوض ونهر النيل الطريق الرئيسي لها.

والمقال المهم للباحث: Ibrahim Anoba والذي جاء بعنوان « Commerce and Trade in Ancient Africa: Kush» أي التجارة والأعمال التجارية في إفريقيا القديمة: كوش نموذجا وقد وصف فيه تأثير تجارة مصر القديمة مع النوبة ومساهمتها في نهضة حضارة كوش وهي إحدى ثقافات بلاد النوبة التي شملتها الدراسة.

ولا يفوتني الإشارة إلى الصعوبات التي واجهتني في رحلة إنجازي لهذه المذكرة و منها كون الدراسة هي الأولى التي تهتم بدراسة تجارة مصر مع بلاد النوبة والتي كانت تعد في أغلب الدراسات جزء تابعا لمصر. وقد واجهت صعوبة في جمع المادة الخاصة بالتجارة مصر من وإلى أرض النوبة حيث كانت هذه الجزئية متفرقة في كثير وضمن مباحث أخرى منها مباحث الجزية أو في إطار الكلام عن تجارة مصر عموما.

وكذلك المتعلقة بالحصول على المقالات الأجنبية والتي أغلبها بلغاتها الأم فلم يكن مني سوى الغوص في قراءتها وترجمتها مع مراعاة صعوبة اللغة أحيانا.

وفي الختام لا يسعني سوى تقديم شكري لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل بإرشاد أو نصح وأخص بذلك أستاذي المشرف البروفيسور محمد رشدي جراية الذي كان نعم الداعم والراعي، كما أتقدم بالشكر لجميع الأخوة القائمين على المكتبات التي تزودت منها مادة هذا البحث ولكل من أمدنا بمرجع من المراجع أو أشار علينا بكتاب أو مقال.

الفصل الأول: الإطار الجغرافي والتطور التاريخي للعلاقات بين بلاد النوبة ومصر القديمة

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لبلاد النوبة ومصر القديمة

المبحث الثاني: التطور التاريخي للعلاقات بين بلاد النوبة ومصر القديمة

يعد الموقع الجغرافي لأي منطقة من العوامل الأساسية في توجيه حركة التاريخ وتسييرها، وتعد الدراسة الجغرافية لأي منطقة الباب الرئيسي للمعالجة التاريخية للأحداث، لذا فإن دراستنا لجغرافية موقع النوبة ومصر القديمة تمكننا حتما من فهم العلاقات التاريخية لهذه البلاد.

يتناول هذا الفصل الإطار الجغرافي لكل من النوبة ومصر ويشمل أصل التسمية والموقع، كما يتناول العلاقات التي كانت قائمة بين الحضارتين المتجاورتين وكيف تطورت عبر التاريخ.

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لبلاد النوبة ومصر القديمة

أولا: بلاد النوبة

1- التسمية:

يعتبر إسم « النوبة » هو الإسم الأشهر الذي يطلقه العلماء والمؤرخون للدلالة على المنطقة الممتدة جنوب مصر وشمال السودان حاليا، والتي لعبت دورا مهما في رسم تاريخ عريض بجوار تاريخ مصر؛ تضمنته العديد من الروابط المشتركة - الثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية - مع تفاعل كبير يعود إلى الألفية الرابعة قبل الميلاد مع مصر ومع جيرانها في الجنوب الإفريقي.

وأطلق على أرض النوبة خلال العصور القديمة عددا كبيرا من الأسماء، يمكننا ان نرجع أصل كل منها إلى دلالة معينة كالتالي:

فقد كان النوبيون القدماء معروفون بمهاراتهم في استعمال القوس، فكانت أقدم أسمائهم التي أطلقت على أرضهم عند المصريون« تا سيتي » "Ta-Seti" والتي تعني "أرض القوس" غالبًا ما كان الحكام النوبيون ، بما في ذلك الحكام الإناث ، مدفونين بمعدات الرماية ، مثل الحلقات الحجرية المصممة لتسهيل إطلاق السهام.[1]

[1] محمد إبراهيم بكر، المدخل إلى تاريخ السودان القديم، د د ن ، د ط، ص6- 8

أما تسمية «النوبة» فيرجح البعض أنها مشتقة من اللفظة المصرية التي تطلق على الذهب "نوب" أو " نب" ك « تا نبو» أي أرض الذهب أو «خاسوت نبو» أي بلاد الذهب، وترجح دراسات أخرى أن اسم النوبة حديث نسبيا ؛ وقد اشتق من اسم قبيلة «النوباتي» الذين استقدمهم الرومان في القرن الثالث الميلادي من مواطنهم في الصحراء بين الواحة الكبرى والنيل النوبي، وأسكنوهم النوبة المصرية ليكونوا بمثابة إمارة حاجزة ضد غارات قبائل «البليمي»، الذين هم على الأغلب أجداد قبائل «البجة» الحالية في الصحراء شرقي النيل النوبي[1]

ومن الأسماء التي أطبقها المصريون على النوبة من جنوب الشلال الأول اسم «تا نحسي» أي بلاد النحسي وهم النوبيون وهو إسم أو نحسيو ويطلق على البلاد الأجنبية التي تقع جنوب مصر وهو مستمد من تقسيم المصرين الجنس البشري إلى أربع أصناف أو قوميات .[2]

(أ) نحسيو وهم النوبيون

(ب) عامو وهم الآسيويون

(ت) تمحو وهم الليبيون

(ث) رمجو وهم المصريون

وأما اسم «كوش» فهو كذلك من الأسماء التي اشتهرت بها المنطقة، وكان يطلق في التاريخ القديم على الجزء الجنوبي للمنطقة فقط؛ ثم أصبح اسم كوش علما على المنطقة كها وظهر في الكثير من الوثاق العالمية المصرية منها والآشورية والاثيوبية ولا يزال يطلق اسم

[1] منها الدراسة التي أعدها علي أحمد قسم السيد، تحت عنوان : تاريخ وجغرافية بعض بلاد النوبة من خلال النقوش المصرية في عهد المملكتين القديمة والمتوسطة، Bulletin of Sudanese Studie، 1989،،ص 113

[2] علي أحمد قسم السيد، تاريخ وجغرافية بعض بلاد النوبة من خلال النقوش المصرية في عهد المملكتين القديمة والمتوسطة، Bulletin of Sudanese Studie، 1989، ص 98.

كوشي وعلى بعض اللغات والشعوب في أثيوبيا حاليا في وقت المملكة المصرية القديمة (2613-2181 قبل الميلاد) والمنطقة الشمالية ، المتاخمة لمصر[1]

وقد أشير إلى اسم كوش - أو بعض أشكاله - في النقوش المصرية مثل: «كياس» أو «كيش» في عصر«سنوسرت الأول» الذي تولى حكم مصر من عام (1971 إلى عام 1926) ق.م . و «كاسو» و«كاشو» و«كاشا» مدونة على ألواح تل العمارنة مشيرة إلى القسم جنوب الشلال الثاني، ثم تحول الاسم إلى «كي». بينما أطلق اسم «شات» على منطقة الشلال الثالث، وأخيرًا أصبحت «كوش» التسمية العامة للنوبة الجنوبية. ومنذ العصر الفاطمي، أصبحت النوبة الشمالية في مصر تُعرف ببلاد الكنوز.[2]

في حين ورد الاسم «إثيوبيا» في كتاب الإلياذة مرتين، وفي الأوديسا ثلاث مرات للدلالة على المنطقة ذاتها، وهو اسم مركب من لفظين باللغة الإغريقية وهما ايثو (aitho) بمعنى المحروق، وأوبسيس (opsis) أي الوجه وبذلك يصبح اللفظ إثيوبيا (Aethiopia)باللغة الإغريقية ((Aiθιοπία مرادفا لبلاد الوجوه المحروقة أو البشرة البنية ؛ التي تقطن جنوب مصر وتطابق الترجمة العربية (بلاد السودان) أما حاليا فلا يمكن أن ينطبق اسم أثيوبيا على النوبة القديمة لأنه أصبح علما على عندد المؤرخين والباحثين على دولة الحبشة[3]

ومما سبق نستنتج أن للنوبة قد عرفت بأسماء وصفات عديدة إلا سكان النوبة بلغاتهم وحضارتهم المختلفة عن لغة وحضارة ومصر كانت عامرة منذ الألف السابعة (7000) ق.م كانت تنتظم حضارة بداية في تلك الفترة من نهاية العصر الحجري الحديث ممتدة في كل أنحاء النوبة ولا يظهر هناك تباين ثقافي بين جزئي النوبة العليا والسفلى في تلك الفترة خاصة في العادات الجنازية والأدوات الحجرية والأواني الفخارية ثم المعدنية، ومع حدود 4000 ق.م ازدرهرت ثقافة متميزة في النوبة، تعرف بثقافة المجموعة A تبين لعلماء الآثار من بقايا الأدوات النحاسية والفخار المصري الذي عثر عليه في مقابر هذه الثقافة أن

[1] محمد إبراهيم بكر، المرجع السابق ، ص6-

[2] Mark, J. J. The Kingdom of Kush. Ancient History Encyclopedia. 26, February,2018. Retrieved from https://-www.ancient.eu/Kush/

[3] الصادق القسيم فرحنا حمدت الله، السمات الكوشية في النحت الفرعوني فترة الأسرة الخامسة والعشرين، جامعة السودان ، 2016، ص13

ازدهار هذه المجموعة كان معاصرا لعهد الأسرة الأولى المصرية وتظهر تلك الكشوفات أن هذه المجموعة كانت كبيرة في عدد السكان أما موقعها فكان بين الشلالين الأول والثاني[1]

أما صفاتهم الإثنية فقد تشابهت مع مصريي عهد ما قبل الأسرات ، ورغم أنهم كانوا شعبا بدويا إلا أنهم عرفوا صناعة الفخار؛ وكان فخارا ذا جودة عالية وكانت عاداتهم الجنائزية تشير إلى حالة دينية مميزة فوجدت في مقابرهم الكثير من الملحقات والأثاث كالمراوح المصنوعة من ريش النعام والأواني الفخارية وأساور من العظم والخرز وغيرها، ويبدو أن هذه المجموعة الحضارية هي التي قد بدأت الصلات مع مصر شمالا كما يدلنا تواجد الفخار المصري ضمن مقتنيات قبور هذه الفترة.[2]

ويرجح أنها استمرت قائمة إلى نهاية الأسرة الثانية المصرية أي (2780) ق.م ثم عرفت انحطاطا وخلال هذه الفترة قامت مجموعة حضارية أخرى تعرف بالمجموعة B؛ ورأي بعض العلماء أنها كانت مختلفة عن المجموعة السابقة ؛ رغم أن البعض الآخر يرفضه بحجة أنها عبارة عن حالة من التخلف الحضاري ضربت المجموعة الأولى كان سببه اهتمام الملوك مصر المتزايد بالنوبة بعد توحيدها وتكوين دولة مركزية.[3]

2 - الموقع:

كان ولا يزال الموقع الجغرافي للنوبة؛ تلك المنطقة التي حملت عدة تسميات ونشأت على رقعتها دول ودويلات مختلفة وعرفت أرضها استقرار هجرات عديدة في فترات متعاقبة من التاريخ، كان ولا يزال مسرحا لتمازج وعبور الأفكار والعقائد، انطلاقا من موقعها الاستراتيجي المهم الذي مثّل حلقة مهمة في الربط بين شمال القارة وجنوبها .لذا فإنه من المهم إيضاح الحدود الجغرافية للنوبة حتى نتمكن من فهم الدورالتاريخي لهذه البلاد.

[1] المجموعات الحضارية النوبية هي عبارة عن تقسيم حضاري لتاريخ النوبة والذي اعتمد بناء على الحفائر التي قام بها علماء الآثار، ودراسة أنواع الفخار واللقى الأثرية التي وجدت في المقابر ومقارنتها بالمنتجات المادية المصرية وتلك التي تعود إلى حضارة نباتا ومروى.. وهو يأتي تقريبيا مقابلا للدول المصرية : القديمة والوسطى والحديثة.انظر الخريطة رقم 1 ص77والجدول رقم 1 ص76

[2] : نجم الدين محمد شريف، تاريخ افريقيا العام، مج 2، إشراف: د.جمال مختار، تر: أحمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون، اليونيسكو، 1985، ص249

[3] المرجع نفسه، ص 250.

وبلاد النوبة في التعبير الجغرافي هي المنطقة التي تمتد شمالا من الشلال الأول [1]حتى الشلال السادس بين خطي عرض 17.5و 22.5 شمالا وتمتد بمحاذات نهر النيل لمسافة ألف كيلومتر (1000 كلم) وتتميز النوبة النيلية بالاتساع خاصة شمال أسوان ووادي دنقلة، لذا فإن النيل مثل البيئة الرئيسية للحياة النوبية على مر العصور، ورغم ذلك فإن النوبة تمتد بها منطقة صحراوية طويلة شديدة الحرارة والجفاف، خاصة في الضفة الغربية من دهميت حتى الشلال الثالث؛ حيث تسيطر الرمال المرتفعة وفي أحيان كثيرة تصل إلى مسار الماء في النيل؛ ليحث الكثيرعلى وصف أرض النوبة بأنها «صفراء ذهبية على البر الغربي، سوداء صخرية على طول البر الشرقي»[2]

وسهل هذا الموقع للنوبة روابط عديدة بمصر خاصة منها الرابط الطبيعي فأرض النوبة تنقسم إلى قسمين رئيسيين، هما: النوبة السفلى المسماة «واوات» وتقع جميعها داخل الحدود المصرية بين الشلال الأول والثاني، والقسم الثاني؛ هو النوبة العليا المسماة «كوش» جنوب الشلال الثاني وحتى حدود منطقة (الدبة) داخل الحدود السودانية.[3]

وبلاد النوبة بقسميها تمثل وحدة جغرافية وإثنية وقد مثلت منذ القدم الممر الرئيسي للتيارات الثقافية بين قلب أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط، كما كانت طريق التجارة الرئيسي بين مصر وأفريقيا ووفرت الكثير من السلع والمعادن لمصر والعالم.[4]

[1] شلالات النيل أو جنادل النيل، مجموعة من الصخور الكبيرة والجزر الصخرية التى تعترض مجرى النهر، محدثة أصواتا هائلة، فى المنطقة الواقعة بين أسوان مصر والخرطوم في السودان. وتضم الشلالات الكبيرة شلال أسوان ويضم سد اسوان والسد العالي، والثاني هو شلال وادى حلفا، أما الجندل الثالث ويسمى شلال حنك، وكان يسمى قديما "Tombos" ويقع على نهر النيل بالولاية الشمالية بالسودان منطقة ثرث ـ قرب مدينة دلفو (دلقو) ويتفرع من أمامه فرع من نهر النيل محمل بخيرات النهر. والجندل الرابع يعرف لدى العامة بشلال «كيسنجر» وهو شلال خزان مروى بين مروي وصحراء المناصير، والخامس هو شلال شمال مرواه "بجراوية" في امتداد نهر عطبرة، أما أقرب الشلالات للخرطوم فهو الجندل السادس المعروف بشلال السبلوقة وهو من أبرز المناطق السياحية في السودان وأول شلال بعد اقتران النيل الأزرق بالنيل الأبيض.الأنترنت انظر الخريطة رقم2 ص78

[2] محمد رياض وكوثر عبد الرسول، رحلة في زمان النوبة: دراسة للنوبة القديمة ومؤشرات التنمية المستقبلية، مؤسسة الهنداوي، 2014،ص136

[3] علاء الدين محمد قابيل، تاريخ بلاد النوبة القديم وآثارها، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006، ص 23- 25.انظر: الخريطة رقم 3ص 79.

[4] انظر: جيمس بيكي، جيمس بيكي، الأُثار المصرية في وادي النيل، تر: نورالدين الزراري، مر: محمد جمال مختار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1994، ص24-25.

وقد لعب الموقع الجغرافي للنوبة في فرضها لمكانتها التاريخية، رغم أن تاريخ النوبة لم يتعرض له الباحثون إلا مرتبطا بتاريخ مصر ورغم ذلك فإنه من المكانة ومن الأهمية بمكان؛ وقد كان هذا تاريخ غامضًا إلا من الإشارات التي ظهرت في السجلات والكتابات التاريخية الفرعونية والبطلمية الرومانية والعربية، ولكن مشروع إنشاء سد أسوان في العصر الحديث ، ثم مشروع إنشاء السد العالي كان السبب في اكتشاف بقايا حضارة منسية على ضفاف النيل، مما دفع ثلة من علماء الآثار[1] بأن يقوموا بدراسات أركيولوجية للآثار المهددة بالغرق، وهكذا تجمعت معلومات خلال نحو قرن عن تاريخ النوبة في مصر والسودان[2]

وقد منح الموقع الجغرافي مكانة في التاريخ القديم فقد كانت أكبر منطقة تحوي معدن الذهب في العالم القديم، مما جعل أهلها يشتغلون بتجارته منذ القديم رغم أن الحياة الاقتصادية خلال الحقبتين (A)و (B) كانت تقوم على رعي الحيوان على النباتات النامية على ضفاف النهر وسهله الفيضي، وعلى صيد الأسماك.[3]

كما كانت العاصمة كرما ذات أهمية جغرافية واستراتيجية في تاريخ النوبة فكانت هي أول العواصم النوبية ؛ التي تم العثور عليها من قبل فريق سويسري، حيث اكتشف الفريق بقايا المعابد والمقابر وسور المدينة مع المعاقل، اظهرت اكتشافاتهم أن المدينة كانت مركزًا لتجارة الذهب والعاج والأبقار من بين السلع الأخرى التي يتم تداولها من قبل سكان كرما، إضافة إلى الفخار الممتاز الذي عرف عند علما الآثار بخزف كرمة ، وهو ما يدلنا

[1] ومن الأسماء المهمة في كتابة تاريخ النوبة «إمري Emery» و«كيروان Kirwan» اللذان قاما بحفائر عديدة في المناسيب بين 116و 122مترًا، ودرس يونكر Junker حفريات في أرمنا، وجريفيث Griffith في منطقة فرس، و«وولي Wooley» في الكرنوج، ورايزنر Reisner في عدة أماكن في النوبة السودانية، ودي فيلارد Monneret de Villard الذي قام بدراسة شاملة للآثار المسيحية في النوبة. محمد رياض وكوثر عبد الرسول، المرجع السابق، ص 143.

[2] محمد رياض وكوثر عبد الرسول، المرجع السابق، ص 143-144.

[3] المجموعات الحضارية النوبية هي عبارة عن تقسيم حضاري لتاريخ النوبة والذي اعتمد بناء على الحفائر التي قام بها علماء الآثار، ودراسة أنواع الفخار واللقى الأثرية التي وجدت في المقابر ومقارنتها بالمنتجات المادية المصرية وتلك التي تعود إلى حضارة نباتا ومروى وهو يأتي تقريبيا مقابلا للدول المصرية : القديمة والوسطى والحديثة.انظر: محمد رياض وكوثر عبد الرسول، المرجع السابق ، ص 145-148.

على الدور الذي لعبته هذه العاصمة في ترسيخ مكانة النوبة في حوض واد النيل منذ فجر التاريخ.[1]

وكانت الحدود المصرية تمتد تدريجياً تجاه النوبة إبان حكم الملوك الأقوياء، بينما تنحصر في عصر الأسرات الضعيفة، فامتدت في عصر الأسر الحادية عشرة والثانية عشرة والثامنة عشرة، وكذلك خلال العصر البطلمي حيث امتد حكم البطالمة في بلاد النوبة؛ ولم تكن هناك مشكلات تُذكر بين مصر وبلاد النوبة، ولكنها كانت تنحصر تحت حكم الأسرات الضعيفة وهو ما حدث في فترتي الاضمحلال الأول والثاني.[2]

أما في عصر الدولة الحديثة فقد انضمت بلاد النوبة حتى الشلال الرابع جنوبا إلى حدود مصر وأصبحت جزءا منها، كما تأثرت بالثقافة المصرية وتعبدت بآلهتها وانتشرت فيها المعابد التي كانت بمثابة مراكز دينية وثقافية.[3]

ثانيا ـ الإطار الجغرافي لمصر القديمة

1- التسمية

يعد إسم «مصر» من أسماء البلدان القليلة التي ذكرت في كتاب الله عز وجل وتكررت في مواضع كثيرة تحيلنا على أهميتها تاريخيا وتحيلنا بعض الآيات الكريمات إلى القوة التي كانت عليها ملكها في التاريخ القديم.

قال اللهّ تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيۖ أَفَلَا ... أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ. ﴾[4] وفي الآية إشارة إلى خيراتها وثرائها.

[1] عبد الحليم نور الدين، تاريخ وآثار النوبة، إعداد: مهاب درويش، مكتبة الأسكندرية، د ت، ص 6-7 .
[2] ناجي شوقي بطرس، الذهب في مصر هل ذهب مع الفراعنة؟، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2015، ص87.
[3] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص7.انظر: الخريطة رقم4 ص 80.
[4] سورة الزخرف الأية 51

كما قال تعالى على لسان سيدنا يوسف ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّـهُ آمِنِينَ ﴾[1] وفيها كذلك إشارة إلى أمنها وقوة سلطتها فكل من دخلها كان آمنا غير مهدد، وهذا قليل في ذلك التاريخ من العالم.

لقد اختلفت الأراء حول تسمية «مصر» بهذا الاسم وعن تاريخه حيث يرجع من اعتمد على التوراة أنه مشتق من إسم «مصرائيم » Misraim ابن حام ابن «نوح» عليه السلام ، حيث كان هو ونسله أول سلالة بشرية سكنت أرض مصر كلها كما يذهب البعض إلى كونها هي الموطن الأول للجماعة البشرية بعد الطوفان، ومصرائيم ينطق بالعبرية Mitsri-im وهو ابن حام كما جاء فى (سفر التكوين 6:10) بالعهد القديم، وكان ينطق إسمها باللغة المصرية القديمة "مشر" md-r ، أي « مصر» [2].

كما يشيير سليم حسن إلى أن مصر كان يطلق عليها قديمًا اسم «كمي» وقد بقي محفوظًا إلى أن جاء الإغريق فأسموها «أجبتيوس»، وبقيت هذه التسمية تتعرض لتسيرات عديدة وأفضل هذه التفاسير «حا-كا-بتاح» أي مكان نفس الإله بتاح. الذي كان يعبد في بلدة منف عاصمة مصر في عهد الدولة القديمة، ولفظة «كمي» معناها الأرض السوداء، وكانت تطلق على الوادي الخصيب، أما الأرض التي كانت تحيط به من الشرق والغرب فكانت تسمى «تا ـ دشر»، وتعني بالمصرية البلاد الحمراء أي الصحراء، ولا شك أن مصر بهذا التحليل مدينة بحياتها لنهر النيل ورافده الغنية.[3]

أما «Egypt » المأخوذة من إسمها اللاتينية إجبتوسAegyptus فيرجح أنه نفس الاسم المطلق على مدينة منف القديمة« حا كا بتاح و Hetkaita وتعني معبد : (كا) الإله: (بتاح) و ظل هذا اسم مصر حتي دخل اليونانيون إلى مصر مع فتوحات الأسكندر المقدوني في عام 332 ق.م فوجد الاغريق صعوبة في نطق حرف الحاء في بداية إسم مصر، فحولوا حرف الحاء في كلمة (حيتHet) إلى حرف E وحولوا حرف الكاف في كلمة (كَ) إلى الحرف G حتى اصبحت Aegyptus وقد انتقلت هذه التسمية عن اليونانية إلى كل اللغات الاوربية،

[1] سورة يوسف الآية 99
[2] مجدي صادق : التاريخ الحقيقي لمصر القديمة، د د ن، 2002، ص22
[3] سليم حسن، المرجع السابق، ج1، ص17.

وكل لغة أضافت وحذفت طبقاً لخاصية كل لغة فمثلاً نجدها في الانجليزية Egypt و في الايطالية Egitto .[1]

2- الموقع

تمثل مصر حدود القارة الإفريقية من الجزء الشمالي الشرقي، ولديها امتداد في قارة آسيا، حيث تقع شبه جزيرة سيناء،كما أن الوجه البحري أقرب ما يكون إلى قارة أوربا فهي أشبه بأن تتوسط قارات العالم القديم، تقع فلكيا بين دائرتي عرض 22° و 36' 31° شمالاً، وبين خطي طول 24° و 37° شرقي خط جرينتش.

شغلت مصر القديمة الوادي الضيق للنيل المحاط بالجبال من الغرب والشرق وتقسم مصر من حيث التضاريس ومظاهر السطح إلى أربعة أقسام : 1- وادي النيل ودلتاه وهو ما يمثل قلب مصر ومركزها أو جزءها الرئيس لأن مصر هي هبة النيل كما في القول المنسوب لـ المؤرخ اليوناني هيرودوت 2- الصحراء الشرقية وهي صحراء تفصل مصر عن منطقة البحر الأحمر 3- الصحراء الغربية وهي الصحراء التي شكلت الموطن الذي أنطلقت منه الهجرات الليبية إلى مصر 4- شبه جزيرة سيناء التي مثلت بأتساعها وجفافها مصدر تحدي لمصر لا سيما وقد مثلت الممر الذي تعبر من خلاله القبائل السامية نحو مصر.[2]

لقد عاش المصريون القدماء على شريط طولي من أرض مصر القديمة على ضفاف نهر النيل ؛ كانت أرضهم عبارة عن وادي خصب على طولي 1200 كلم، فاكتشفوا أرضا زودها فيضان النيل بالخصوبة؛ والنيل دون شك هو منحة إلهية لمصر فهذا النهر العظيم يفيض على البلاد بخيره العميم طول العام؛.أما فيضانه السنوي فإنه يكسب الأرض خصبًا ونماء خاصة ذلك الطمي الذي يجلبه معه كل عام والذي انتزع من التربة البركانية بأعلى الحبشة، تاركا إياه على سطح الأراضي التي تستعد للزراعة التي كانت عصب الحياة في

[1] قيس حاتم الجنابي، تاريخ الشرق الأدني القديم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص 167
[2] إبراهيم يوسف الشتلة ، جذور الحضارة المصرية ، مطبعة بركات، القاهرة، 1998، ص 16.

مصر القديمة، ومن ذلك نرى أن البلاد المصرية بدون نهر النيل تصبح صحراء قاحلة، والحياة فيها مستحيلة هو العامل الأساسي لوجود مصر الذي لولاه لكانت صحراء جرداء[1]

إن موقع مصر جعلها بيئة منفتحة على شعوب مختلفة الثقافات و الإثنيات ، فمصر بموقعها غدت قبلة للأنظار ومنفذا توافدت إليها شعوب كثيرة سواء من خلال هجرات سلمية أو غزوات أجنبية ما جعلها غير متجانسة تماما من حيث أصول السكان الأمر الذي بدا واضحا منذ أقدم مراحل تأريخها ففي عصر بداية الحضارة المصرية يعتقد ان سكان مصر كانوا ينقسمون إلى مجموعة من الشعوب المختلفة كالليبيين القادمين من الصحراء الليبية والزنوج القادمين من الجنوب وجماعات سامية من جنوب فلسطين وتقبلت مصر كل هذه الوفود خاصة الإفريقية يشير إلى تقارب سكانها الأصليين مع تلك الشعوب دون أن ننسى التوافد اللاحقة للإغريق والرومان [2]

كما لا شك يتبادر في أهمية موقع ومساهمته في نشوء حضارتها القديمة التي بدأت بواكيرها الأولى منذ الألف الخامسة ق.م، لكن الانتقال إلى مرحلة الحضارة الناضجة تم في حدود بداية الألف الثالث قبل الميلاد وقد انقسم المؤرخون في سبب هذا التطور المفاجئ فبينما عزاه البعض إلى ظروف محلية خاصة عزاه البعض الأخر إلى دخول مؤثر خارجي وبغض النظر عن تلك الآراء فمصر ليست بمعزل عن حضارات العالم القديم خاصة في أفريقيا وبلاد الرافدين.[3].

فقد حققت القبائل المصرية تقدما عميقا في مختلف فروع الاقتصاد ولا شك أن نضوب الواحات وجفاف السيول دفعهم إلى استصلاح الأراضي وتعويض تلك المزروعات المفقودة بأخرى مستوردة، وهوما دعا إلى طرح احتمال قدوم تأثير أجنبي جاء إلى مصر من جهة الشمال أو عن طريق وادي حمامات أي من الجنوب، كما لا شك أن أن الحضارة المصرية

[1] انطون زكري : النيل في عهد الفراعنة والعرب, مكتبة مدبولي, القاهرة، 1995، 27.
[2] جان فيركوتيرر، مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، دارالفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص33
[3] ف دياكوف و س كوفاليف ، الحضارات القديمة، ترجمة : نسيم واكيم اليازجي ، ط 1 ، دمشق ، 2006 ، ج1 ، ص 117 .

هي بالدرجة الأولى ثمرة للبيئة الطبيعية الأفريقية ولذلك ازدادت هذه الحضارة غنى بما جاءها من القارة الآسيوية ومن غيرها في العصور اللاحقة.[1]

[1] ف دياكوف و س كوفاليف المرجع السابق، 119.

المبحث الثاني: التطور التاريخي للعلاقات بين بلاد النوبة ومصر القديمة

كانت النوبة على مر التاريخ القديم تعتبر بعدا استراتيجيا وامتدادا طبيعا لمصر في قلب أفريقيا، وقد رأت فيها منطقة جديرة بالاكتشاف والاتصال المتبادل، فعملت مصر على ذلك منذ عهد ما قبل الأسرات؛ ثم اشتد هذا الاهتمام ببداية عهد الأسرات فإن أقدم تسجيل لاتصال مصر بالنوبة هو ما سجلته القطعة الأثرية المعروضة بمتحف الخرطوم، وهي تمثل سجلا تاريخا يشهد على معركة جرت قرب واد النيل؛ شنها الملك « جر » (حكم مصر حوالي 3000-2890 ق.م) من الأسرة الأولى على النوبيين ، ثم استمرت هذه التسجيلات تعطينا أشارات للاتصالات الأولى بين مصر وبلاد النوبة، كالتي تظهر الملك « خاع سخم » أحد فراعنة الأسرة الثانية راكعا فوق أسير نوبي، والملك « زوسر» أول ملوك الأسرة الثالثة قد أرسلوا بعثات برية توغلت في بلاد النوبة، كما يخبرنا « حجر باليرمو » [1]وهو الحجر المنقوش عليه جل ملوك الدولة القديمة؛ بأن الملك «سنفرو» (حوالي سنة 2900 ق.م) ـ أول من قاد حملة رسمية على بلاد النوبة ـ قد دمر ـ تا نحسيو ـ أي أرض النوبة وسبى وغنم الكثير من رؤوس الماشية والأغنام، ولا شك أن هذه البعثات السابقة كانت لا تخرج عن كونها بعثات تجارية أو لصد الغارات[2]

ولعل الأهم من هذه الغارات التي اعتاد الفراعنة أن يشنها على أرض النوبة أو ما جاورها من مناطق، هي المعلومات الكافية التي أصبحت في يد المصريين ليباشروا تجارة منظمة منذ الأسرة الخامسة؛ فقامت بتنظيم علاقتها ونصبت حاكما على منطقة ما وراء الشلال الأول عرف ب « حاكم الجنوب » وكان مسؤولا عن حراسة الحدود الجنوبية والقضاء على الاضطرابات التي كانت بسبب توافد مجموعات مختلفة من جهة الجنوب ويرجع ذلك إلى أن الجفاف قد عم المناطق الجنوبية فقلت مورادها مما اضطرهم إلى التقدم نحو مصر من جهة الجنوب.[3]

---

[1] انظر الصورة رقم 1 ص68.

[2] انظر: نجم الدين محمد شريف، تاريخ افريقيا العام، مج 2، إشراف: د.جمال مختار، تر: أحمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون، اليونيسكو، 1985، ص250-252.

[3] انظر:نجم الدين محمد شريف، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق ، ص250- 252.

ويمكننا أن نرجع بالتاريخ قليلا لنتمكن من توضيح بداية هذه الصلات ضمن سياق توحيد مصر سياسيًا واقتصاديًا ودينيًا فبحلول عام 3200 ق.م ، أصبحت مصر العليا ومصر السفلى مملكة واحدة تحت يد أقوى ملوك تلك الحقبة وموحد قطرها الملك مينا الذي دونت تاريخ حربه على لوحة نعرمر الشهيرة[1] فكان هذا التوحيد محفزا لتوجه ملوكها نحو إقامة سلطة موحدة في أرجاء البلاد، وبثت روح التنظيم السياسي والاقتصادي ، كما تدعمت الإدارة المركزية بالكثير من الإجرات لتنظيم الزراعة والتجارة الخارجية.وتأسيس جهاز إداري مستقر يعتمد على تسلسل وظيفي صارم ودقيق.[2]

ونرى أن الجانب الديني كان مبررا لفراعنة الدولة القديمة المصريين لتوجه نحو النوبة، فمع هذا التوحيد تعززت مظاهر الإيمان و الاعتقاد في الحياة الآخرة وبدأ إنشاء المعابد و القبور الملكية؛ مما أدى ذلك إلى تداول كميات كبيرة من الفاخر والمقتنيات الجنازية، وبالإضافة إلى تطور الفنون والحرف اليدوية أدت كلها إلى زيادة الطلب على المواد الخام الموجودة في أرض النوبة، حيث أظهرت الحفريات أن ما يصل إلى 20 في المائة من قطع الفخار من المستويات التي تعود إلى الأسرة الثانية هي في الأصل من المجموعة الأولى النوبية .[3]

بل أن مصر و النوبة كانتا إلى حد بعيد متشابهين من الناحية الدينية إذ يعتقد أن حضارة وادي النيل قد مرت بمرحلتين أولها من أن اصل الحضارة المصرية الفرعونية والنوبية القديمة قد بدأ في المنطقة النوبية الممتدة من منطقة اسوان وحتى جنوب دنقلة وقد كانت هذه في مرحلة ما قبل الاسرات، حيث ترافقت فيها الحضارة النوبية والمصرية، قبل انفصالهما لحضارتين متميزتين لكن مع الاحتفاظ بعلاقات متنوعة ومتواصل، مع هذا التفرع نشأت مجموعات مختلفة من الآلهة لكل حضارة، وكانت اشهر الآلهة المعتمدة عند النوبيين: آمون،

[1] أدولف إرمان وهرمان رائكه، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، تر: عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1952،ص 32-

[2] دومينيك قالبيل، الناس والحياة ي مصر القديمة، تر: ماهر جويجاني، دارالفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص9.

[3] Henriette Hafsaas, «Hierarchy and Heterarchy. The Earliest Cross-Cultural Trade along the Nile». Between the Cataracts. Proceedings of the 10th Conference for Nubian Studies. Londres, 2009 .p 31

ايزيس، ، انوبيس، رع، حورس وهي كذلك الآلهة المعتمدة عند المصريين، كما أن عبادة أوزريس هي عبادة إفريقية خالصة[1]

بينما كان وجود معبد آمون في جبل البركل ـ مدينة نبتة النوبية ـ يركز إلى اعتقاد الكوشيين والمصريين أن الحياة على الأرض قد بدأت في جبل البركل وظلت وظيفة هذا الجبل على مر التاريخ، مركزاً للحياة الدينية في كرما وكوش وونباتا. فتم بناء العديد من المعابد، بما في ذلك معبد آمون حيث جرت مراسم دينية وسياسية كبرى وكانت تابعة فترات كثيرة لكهنة معبد آمون في طيبة[2]

ومن ناحية أخرى فقد وجدت العديد من الأوعية الفخارية من عصر ما قبل الأسرات وعصر الأسرتين الأولى والثانية، حيث تتواجد في مناطق مصرية تمتد شمالا وجنوبا وهو ما يبين أن تبادل المصنوعات كان جاريا، كما تم اكتشاف آثار مصرية في النوبة كالأواني والأحجار الكريمة ولعل التجارة أيا كان شكلها والتي بدأت قيدما؛ قد ساعدت على انتشار الأفكار والتقنيات كذلك؛ ليس في النوبة فقط بل ربما في مناطق أبعد وأعمق في إفريقيا[3].

ولم تنقطع مصر على تواصلها مع النوبة طيلة تاريخها لأسباب مختلفة دينية واقتصادية؛ ولعل السبب الأكثر أهمية لتواجد مصر بالنوبة هوإبقاء على طريق الجنوب مفتوحا محافظة منها كذلك على صلاتها مع جيرانها.[4]

وقد تكاثفت جهود مصر في عهد الدولة الوسطى لضم النوبة تحت سيطرتها للمحافظة على منافذها إلى واتبعت كل الوسائل المتاحة عسكريا وسلميا للحفاظ على علاقتها السياسية والاقتصادية والثقافية بأرض النوبة.[5]

حيث كانت حملات مصر العسكرية تتزايد لتحرير طريق التجارة الموصلة إلى النوبة ولحمايتها من غارات القبائل الجنوبية، ثم تحولت تلك الحملات إلى محاولات لضم النوبة

[1] ولاس بدج، آلهة المصريين، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص 36

[2] جيمس بيكي، الأُثار المصرية في وادي النيل، تر: نورالدين الزراري، مر: محمد جمال مختار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1994،ص262.

[3] شحاتة آدم، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص235.

[4] المرجع نفسه، ص 235.

[5] أحمد رشاد موسى، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، المجلس الأعلى للثقافة، د.ب، 1998، ص 75.

خاصة منذ حملات سنوسرت الأول والثالث (1878–1849) ق.م.، والتي كانت تضم في كل مرة أجزاء كبيرة من البلاد عبر إقامة قلاع وحصون، كما سعت إلى تنظيمها حسب الأنظمة المصرية من حيث الحكم والإدارة.[1]

بينما تم في عهد «تحتمس الأول» شن عدة حملات عسكرية جديدة تهدف لإعادة النظام في النوبة وإعادة بعث السيطرة المصرية عليها؛ وأدى ذلك في النهاية إلى ضمه للنوبة و تمصير لحضارتها ثقافيا بشكل أكبر؛ فقد أصبحت النوبة مقاطعة مهمة في المملكة الحديثة، اقتصاديًا وسياسيًا.[2]

على الرغم من ذلك فقد ظلت العلاقة المتبادلة بين مصر والنوبة نشطة و مستمرة خلال عهود الدولة القديمة والوسطى، ففي فترات السيطرة المصرية، كان الملوك يأخذون أبناء العائلات النوبية المهمة لتعليمهم في مصر ثم تتم إعادتهم لتعيينهم في مناصب بيروقراطية لضمان ولائهم ، كما كان يفعل بأبناء باقي الأقطار التي كانت تحت السيطرة المصرية في آسيا، كما تبنت هذه النخب النوبية الكثير من العادات المصرية ومنحوا أبناءهم أسماء مصرية.[3]

بلغت الصلات المصرية النوبية ذروتها في عهد الدولة الحديثة؛ وبفضل تلك الصلات بين مصر وبلاد النوبة عرفت خيرات أفريقيا طريقها إلى العالم الخارجي وانتشرت الثقافة المصرية المتقدمة نسبيا في أفريقيا حيث أدت النوبة دورا كبيرا في الوساطة بين الثقافات المجاورة.[4]

وبعد أن ركنت ملوك مصر إلى حياة الترف والبذخ بدأت تتحلل أواصر القوة السياسية م ما أدى إلى تحلل علاقاتها الخارجية ومن ثم علاقتها مع النوبة حتى انتهت إلى التدهور بعد انتهاء أسرة الرعامسة، إلا أن هذه العلاقة رجعت من جديد عندما اجتاح مصر الملك الكوشي

[1] سليم حسن، المرجع السابق، ج 10، ص 135- 136

[2] Julia Budk , The new kingdom in nubia: ne resultes from current excavations on Sai island, Originalveröffentlichung in: Egitto e vicino oriente 37, 2014 ,p.57

[3] Julia Budk, op cit.p58

[4] أحمد علي الناصري ، دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وأفريقيا في عصور ما قبل الإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990، ص 8–10.

بغنجي (750-716) ق.م وأصبحت في عهده مصر تحت الحكم الكوشي حيث حكم الملوك الكوشيون مصر لمدة قرن وسميت الأسرة الخامسة والعشرين في مصر بإسمهم وسار«بيغنجي» وخلفاؤه في حكمهم على سيرة الملوك الفراعنة وحافظوا على إرث الحضارة المصرية ولكن بلمسة نوبية وهو ما رسخ تلك العلاقة المتبادلة والامتداد العضوي بين مصر وبلاد النوبة .[1]

[1] أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص10.

الفصل الثاني: النشاط الاقتصادي لبلاد النوبة ومصر القديمة

المبحث الأول: النشاط الاقتصادي لبلاد النوبة

المبحث الثاني: النشاط الاقتصادي لمصر القديمة

للخوض في تفاصيل العلاقة التي كانت قائمة بين بلاد النوبة و مصر القديمة لا بد من التعرف على الحالة الاقتصادية لكل منهما وكيف كانت الخلفية الاقتصادية لكل من القطرين قبل نشوء هذه العلاقات التجارية.

ويتناول هذا الفصل أهم الأنشطة الاقتصادية التي مارستها ساكنة كل حضارة مما يسهل علينا معرفة أسباب استمرار هذه العلاقة لفترات طويلة رغم ما مرت به مصر من ضعف وهل كانت حاجة كل منها للأخرى سببا بارزا لعدم تخلي مصر على بلاد النوبة الغنية بالخيرات والمعادن، وفي الجهة المقابلة فإن مصرهي سوق السلع النوبية الأول.

المبحث الأول: النشاط الاقتصادي لبلاد النوبة (الزراعة، الصناعة، التجارة) :

كان النوبيون بالفعل حضارة مزدهرة حتى قبل توحيد مصر عام 3200 ق.م.نستنتج ذلك من تحليل لاكتشافات فترة المجموعة الأولى في النوبة، والتي تقابل ثقافة مصر ما قبل الأسرات من. 3800 ق.م إلى. 3100 ق.م .

ففي خلال الحقبتين (A) و(B)[1] كانت الحياة الاقتصادية تقوم على رعي الحيوان على النباتات النامية على ضفاف النهر وسهله الفيضي، وصيد الأسماك؛ وزراعة بعض النباتات، بل لم تكن أعداد السكان المتناثرين في أرجاء النوبة كثيرة في تلك الحقبة، إذ تدل االشواهد التاريخية المستقاة من بعض الجبانات التي تعود لتلك الفترة على هذه القلة السكانية، فالهياكل البشرية الموجودة في الجبانة الواحدة لا تزيد عن نحو مائة هيكل في طبقات تاريخية متعاقبة، مما قد يستدل منه على استمرار السكن في نفس المكان لعدة أجيال .[2]

أولا- الزراعة

فعلى غرار الشعوب القديمة كانت الزراعة تمارَس بالنوبة كحرفة عامة السكان كما ألفت رواسب النيل مساحات مختلفة الحجم صالحة للزراعة، اعتمدها هؤلاء السكان الذين يسكنون هذه المساحات في الزراعة ، وقد بقيت حياة هذه الجماعات مستمرة ما بقيت الأرض صالحة

[1] المجموعة الثقافية (أ) A (وتؤرخ من حوالي 4000–3000 ق.م.)، والمجموعة (ب) B (من حوالي 3000–2400ق.م.
[2] سليم حسن، المرجع السابق، ج 10، ص 365.

للزراعة ولم تعكر صفو هذه الجماعات إلا ما كان يحصل حين ينحسر النيل فتصبح المنطقة جافة قاحلة، فيلاحظ مثلا أن تراجع الزراعة من طبقات عليا إلى أخرى سفلى من الأرض بين عهد ما قبل الأسرات وعهد الدولة القديمة يرجع سببه إلى إنخفاض في منسوب النيل[1]

وقد كان الرعي من أساسيات الحياة في كرمة كذلك، مثل باقي الثقافات النوبية الأخرى التي تلت ذلك، وكانت الثروة الحيوانية والأبقار والنباتات مهمة للحياة في النوبة، كانت بمثابة المصدر الأساسي للحوم والجلود كما تم استخدامها في الزراعة للعمل في الحقول حيث كانت في حصد المحاصيل مثل القمح والشعيروالدخن والذرة..وكانت تربية الماشية هي حرفة السكان منذ سنين إلى جانب الزراعة وبجانب الماشية ذات القرون الطويلة فقد ربى السكان الضأن والماعز كما توسعوا في تربية الخراف فلقد عثر على الكثير من عظام الخراف في معابد القربان ومطابخ المعابد في كرمة، كذلك جرى تدجين البط والأوز والدجاج والنعام وكذلك ريشه، كما كانت تربية الخيول والحميررائجة والأرجح أنها كانت تستعمل لحمل السلع التجارية حيث أن الجمال لم تدخل النوبة إلا في وقت متأخر عند أواخر القرن الأول ق.م.[2]

على أن المحصول الرئيسي الذي كان يزرع في النوبة القديمة خاصة النوبة السفلى هو الذرة الرفيعة والدليل على ذلك هو ظهوره على الفخاريات الكوشية، وكذلك القمح والشعير ولكن بكميات أقل من الذرة الرفيعة ، كذلك أشارت الحفريات الأثرية إلى أن البازلاء والعدس كانا موجودين، أما التمر فقد كان أكثر الثمار توفرا في سودان وادي النيل ، كذلك الدوم وثمار أخرى مثل: البرتقال ، التمر هندي ، أما القطن فقد زرع على نحو واسع في مملكة كوش ووكان يستخدم في صناعة الملابس المحلية وربما كان ينقل إلى أماكن أخرى . لقد عثر على ملابس قطنية بوفرة في المدافن الكوشية بما في ذلك مدافن كرمة[3]

[1] محمد رياض وكوثر عبد الرسول، المرجع السابق، ص146

[2] Ibrahim Anoba ,**Commerce and Trade in Ancient Africa: Kush** ,Feb 26th, 2019 , https://www.libertarianism.org/columns/commerce-trade-ancient-africa-kush

[3] Elsa Yvanez et Magdalena M. Wozniak ,Le coton en Nubie et au Soudan anciens : sources archéologiques et implications historiques , https://doi.org/10.4000/ethnoecologie.442

لكن هذه الزراعة لم تستمر كمصدر رئيسي للانتاج النوبي فقد تسبب نقص الأراضي الخصبة على الأغلب منذ الدولة القديمة وذلك بسبب الجفاف الذي ضرب تلك الصحاري وأدى بهم إلى الهجرة صوب النيل في حدوث مشاكل، حيث كان يعتمدون على الري من نهر النيل، وإنفاق موارد هائلة لإنشاء شبكات مياه هائلة خلال موسم الزراعة الشتوية (شيتوي)، أما خلال فصل الصيف (صيفي) فقد قام المزارعون (الذين كانوا غالبًا من النساء) بعمليات شاقة من أجل الري تتمثل في جمع المياه من الآبار العميقة والسقي عبر الدلاء[1]

إلا أن الزراعة في النوبة عانت من الجفاف وزحف الرمال؛ بسبب التغيرات البيئية التي قللت من مساحة الرعي في المناطق النوبية من النيل، لقد وفرّت الزراعة التي قامت على إمتداد الشريط الضيق لوادي النيل ، وفرّت للشعب موارده الغذائية الضرورية . لقد إستخدم أهل النوبة كذلك الشادوف لري الأراضي الزراعية وأستخدموا الساقية في الفترة المروية المتأخرة ولجأوا أيضا إلى حفر الحفائر التي تعتمد على تجميع مياه الأمطار مع أنها لا تسد الحاجة لري المزارع، فقد كان الجفاف رغم ذلك هو مصير تلك الزاعة النوبية [2]

واتبع النوبيون نظام ملكية الأرض المصري من حيث تبعيتها للحكام ومساعديه والمعابد، وهنا يمكن أن نقول إن النوبيين تحولوا تمامًا من نظام تربية الحيوان أساسًا إلى نمط ما من أنواع الزراعة الكثيفة: حبوب ونخيل ومناحل ومعاصر للعنب ويظهر أنها كانت فرعا من فروع الزراعة وكان أغلبها ملكا للمعابد ويقوم على زراعتها والعمل فيها مجموعات من العبيد[3]

ثانيا ـ الصناعة:

ظلت الثقافة المادية للنوبيين في الأساس غير مصرية حتى اللحظة (حوالي 2600 ق.م)، فكانت الثقافات الأصلية في النوبة السفلى مختلفة بشكل ملحوظ عن تلك الموجودة في مصر القديمة وفي النوبة العليا واستمرت الفروق حتى الفترة المروية، ويمكن رؤية الاختلافات

[1] Ibrahim Anoba.lok cit.

[2] انظر:أحمد محمد علي الحاكم وآخرون، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص 310

[3] المرجع نفسه، ص310.

بسهولة في الفخار، حيث تختلف عن التقاليد المتنوعة والابتكارية في النوبة القديمة خاصة صناعة حضارة كرمة بالنوبة ذلك الفخار الممتاز الذي يعرف عند علماء الآثار بخزف كرمة والذي يعتبر أجود خزف عرف في واد النيل[1]

فمن المميزات الصناعية لهذه الحقبة فخارها الرقيق الناعم ومن أهم سمات هذه الثقافة الأواني الفخارية التي عثر عليها في مقابر الأفراد النوبيين من المجموعة A ويمكن تمييز عدة أنماط من هذه الأواني غير أن السمة اللازمة لفخار هذه المجموعةَ هو المهارة في الصنع وإلى جانب هذه النوع من الفخار وجدت جرار بصلية الشكل بقعر مدبب وحمالة ومقابض ذات حواف متموجة وجرار مخروطية؛ وهو ما نراه مستمرا في مقابر المجموعة B أيضا[2]

كما تشير الملاحق المتعلقة بتاريخ ثقافة كرمة[3] (1730-1580) ق.م - وهي عبارة عن مركز لثقافة نوبية محلية ومقر أسرة حاكمة- إلى أن أهم السمات الصناعية المميزة لثقافة كرمة هي تلك الأوعية الفخارية رفيعة الصقل، ذات اللون الأحمر بحوافها العليا سوداء، وقد كانت تَشكّل على عجلة صانع الفخار؛ ويظهر أنه كان ذا أهمية في مجال الصناعات النوبية، كما أنتجت هذه الثقافة مصنوعات خشبية مطعمة بالعاج والميكا في أشكال زخرفية وحلى محيطة على قلانس جلدية، ومع أن الكثير من الأوعية الفخارية المكتشفة في كرمة تشير دون شك إلى تراث محلي، إلا أن تأثير التقنيات الصناعية والتصاميم المصرية كان واضحا.[4]

إلا أن الجانب الأهم في الصناعة النوبية هو صناعات التعدين فقد عرفت المنطقة منذ القدم بأنها من بين أغنى بقاع العالم وتعزى هذه الشهرة إلى الثروة المعدنية الموجودة في مناطق شرق النيل فقد كانت النوبة في مختلف أزمنتها وفتراتها أحدى مناطق إنتاج الذهب

[1] سليم حسن، المرجع السابق،ج10، ص367.
[2] نجم الدين محمد شريف، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص 249 انظر: الصورة رقم2 ص 69.
[3] تقع حفريات ثقافة كرمة فوق الشلال الثالث أي جنوبه بمسافة قصيرة وعلى بعد 240 كلم إلى جنوب سمنة، وتحتوي موقع كرمة على صرحين متميزين يعرفان محليا بإسمي الدفوفة الغربية والشرقية. وهي تخص محطة تجارية من عهد الدولة الوسطى وكانت آخر الحصون الجنوبية التي بناها المصريون بين أسوان وكرمة لتأمين مصالحهم في النوبة. محمد رياض وكوثر عبد الرسول، المرجع السابق، ص 146.
[4] نجم الدين محمد شريف، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق ، ص260.

الرئيسية في العالم القديم، حيث تقع مناجم الذهب بين النيل والبحر الأحمر وأغلبها في الجزء الشمالي الذي يقع في إقليم واوات بين الشلال الأول والثاني بما في ذلك طرقه الصحراوية التي تشمل على مناجم للذهب بوادي العلاقي شرقي كوبان. ونعطي مثالا: على ذلك حيث تم في السنة الرابعة والثلاثون من حكم « تحتمس الثالث » جمع 232.4 كلغ من الذهب، وقدر الذهب القادم من النوبة في جزية النوبة القادمة « رمسيس الثالث » بحوالي 50 كلغ ، ولا بد أن إنتاج الذهب كان أهم الحرف في النوبة وقد قدرت الكمية التي أنتجتها بلاد النوبة في العصور القديمة ب 1600000 كلغ من الذهب الخالص.[1]

إضافة إلى الذهب كانت المصنوعات النوبية تدلنا على معادن أخرى كانت مستعملة غير الذهب منها الحلي والأشياء المصنوعة من النحاس والفضة وقد كانت الصناعة بمختلف منتوجاتها غاية في الدقة والإتقان خاصة في ثقافة كرمة، ولم يعد يقتنع الباحثون بالآراء التي تقلل من قيمة اليد المصنعة النوبية والتي تتهم بأنها كنت مجرد موردة للمواد الخام دون أن تساهم في صناعتها وقد دلتنا الكثير من الآثار المكتشفة من بقايا ثقافة كرمة على ذلك والتي اعتمد عليها الباحثون في تفنيد هذه الفكرة.[2]

كما كانت الصحراء النوبية غنية بالأحجار الكريمة وشبه الكريمة مثل حجر الجمشت البنفسجي والعقيق الأحمر والياقوت الأزرق والزبرجد الأصفر والزمرد المصري وغيره وكانت أغلبها من السلع التجارية الأكثر رواجا في تجارة النوبة القديمة[3]

ثالثا ـ التجارة:

شجعت طبيعة واد النيل وروافده على نمو حركة من الاستقرار الدائم ونشأة المدن من حوله، وبهذا أصبحت الفرصة أسنح لنشأة المراكز الحضارية في هذه المنطقة القديمة من العالم، وبهذا تهيأت النوبة لكونها إحدى أهم الحضارات التي قامت حول حوض النيل لتصبح أهم منافذ التجارة مع المناطق الداخلية في أفريقيا وقد لعبت بعض مراكزها التجارية أدوارا إدارية ودينية .

[1] سليم حسن، المرجع السابق، ج10، ص365- 368
[2] المرجع نفسه، ص 369.
[3] أحمد محمد علي الحاكم وآخرون، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص 316.

وكانـت وجهـت التجـارة الخارجيـة دومـا نحـو مصـر وعـالم البحـر الأبـيض المتوسـط والجنوب أما في العصور المتـأخرة فقد اتجهت التجـارة النوبيـة حتـى الجزيـرة العربيـة وكـان طريـق التجـارة الرئيسـي للنوبـة بمحـاذاة النيـل، وفـي بعض أجـزاءه كـان يسير عبـر منـاطق عشبية شبه صحراوية، و لوقوع النوبة على مفترق طرق القوافل التجارية التي تسير ما بين البحـر الأحمـر وأعـالي النيـل والمنطقـة شـبه الصـحروايـة الواقعـة مـا بـين واد النيـل وتشـاد فقدأصبحت بية وسيطية وانتشرت بها مراكز للتبادل التجاري مع أقصى الجنوب[1]

المراكز التجارية بالنوبة:

يرى بعض الباحثين أن التجارة في النوبة كانت تحت يد أمراء دويلات الصعيد في تلك الفترة، وخاصة تجارة نحاس مدينة بوهن ـ قرب حلفا ـ وبعض المنتجات المدارية من عاج وأخشاب، مما ساعد على قيام مراكز تجارية نوبية، وظهور طبقة من الحكام النوبيين نتيجة الثروة الناجمة عن التجارة مع مصر الموحدة، ومن هذه المراكز :

مركز كرمة:

وأنشأه المصريون في كرمة وكان من أهم الحصون المصرية بين أسوان والنوبة لتأمين مصـالحهم وكانـت مقـر الحـاكم العـام كمـا كانـت تحـوي أهـم محطـة تجاريـة وشـكل الـذهب والأحجار الكريمة بالتساوي قدرًا كبيرًا من التجارة الخارجية لكرمة، جعل موقعها كمدينة في منتصف الطريق بين مصر ووسط إفريقيا والبحر الأحمر مركزًا لتجارة العاج والأبنوس المربحة ، كما انخرط سكان كرمة في التجارة المباشرة في هذه السلع مع المجتمعات التي امتدت في عمق وسط إفريقيا، فكان لكرمة طبقة من التجار الأثرياء الذين عملوا كوسطاء بين التجار في الشمال من مصر والتجار من أفريقيا، وتكونت من خلالها ثروتهم وسمعتهم التجارية خاصة مع مصر.[2]

مركز خور داوود:

[1] أحمد محمد علي الحاكم وآخرون ، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص 320-322.

[2] Ibrahim Anoba.lok cit.

يقع الموقع عند نقطة التقاء وادي علاقي بالنيل، كان هذا المركزمكانا مهمًا للأشخاص والسلع التي تنتقل من وإلى الصحراء الشرقية ، أوربما كان أيضًا طريقا مختصرا للتجارو مع المناطق الأبعد جنوبًا.

تفسر إحدى الدرسات أن هذا الموقع هو عبارة عن سوق عبور(transit) ، حيث يلتقس فيه التجار النوبيون والمصريون وغيرهم لتبادل منتجاتهم على أرض "محايدة" ومن أبراز مقتنيات هذا السوق نجد الأواني المستوردة تتألف من جرار وأوعية مفتوحة كانت تستخدم على الأرجح كحاويات للحبوب المستوردة والبيرة والنبيذ وزيت الزيتون المستورد من فلسطين، ويبدو أن البضائع كبيرة الحجم ، مثل البرطمانات التي تحتوي على مواد غذائية ، قد تم تخزينها مؤقتًا في الموقع حيث تشير الجرار الفارغة إلى أن أفراد المجموعة الأولى فضلوا نقل المواد الغذائية الجافة في أكياس أو سلال - حاويات أكثر ملاءمة لنمط الحياة الرعوية.[1]

نبتة:

كانت نبتة عاصمة كوش بعد الاستقلال عن مصر عام 1070 ق.م. لكن المدينة كانت قد تأسست من قبل «تحتمس الثالث» خلال الأسرة الثامنة عشرة في مصر، كما هو الحال في معظم المدن النوبية، وقد تركزت الحياة في نبتة على الزراعة وتربية الحيوانات، على الرغم من أن اقتصادها كان قائمًا على تجارة الذهب مع مصر، و يبدو أن ثروة سكان المجموعة الأولى كانت تستمدها من السيطرة على التجارة بالمواد الخام القادمة من الجنوب أيضا، وهذا قد يفسر هذا ثراء المناطق الأكثربالقرب من الجندل الثاني ووادي العلاقي – والتي تعد بوابات لطرق التجارة المؤدية إلى النوبة العليا وإلى مصر[2] وقد قامت نبتة في الصور الحديثة تقوم مقام حصن سمنة في عهد الدولة الوسطى.[3]

لعبت النوبة بتجارتها دور الوسيط التجاري لذلك تخللت النوبة طرق تجارية عدة؛ أبرزها: طريق النيل شمالاً إلى مصر، ودرب الأربعين الذي ينطلق من غرب النوبة والذي

[1] Henriette Hafsaas, op cit .p26
[2] ibid .p27
[3] سليم حسن، المرجع السابق،ج10، ص 353

يلتقي بالنيل في منطقة دنقلا في الشمال، وثلاثة طرق أخرى شرقية تؤدي إلى البحر الأحمر وإلى القرن الإفريقي إضافة إلى شبكات التجارة الداخلية البرية والنهرية.[1]

ونستنتج أيضا أن تجارة النوبة مع مصرأوغيرها من البلاد الافريقية لم تقتصرعلى تجارة المعادن، بل تكونت هذه التجارة المبكرة من تبادل المواد الغذائية و الأشياء الذهبية والأدوات النحاسية والتمائم والخرز والأختام والألواح الحجرية والأوعية الحجرية ومجموعة متنوعة من الأواني يحتمل أنها كانت أكثر السلع التي تدخل النوبة السفلى من الشمال ، كما كانت بعض الخرزات المصنوعة من اللازورد من أفغانستان وجدت في قبر المجموعة الأولى في مقبرة خور بهان.[2]

[1] Ibrahim Anoba. lok cit
[2] Henriette Hafsaas,op cit .p33

المبحث الثاني: النشاط الاقتصادي لبلاد مصر القديمة (الزراعة، الصناعة، التجارة):

أولا- الزراعة:

تعتبر الزراعة الأساس الذي قامت عليه الحضارة المصرية, ولقد مارسها الإنسان المصري قبل العصور التاريخية بزمن بعيد، حيث مهدت أرض مصر وأعدت للزراعة منذ القديم، كما عمل المصريون على شق شبكة من القنوات وسهروا على صيانتها وذلك من أجل حمايتها من الفيضان المرتفع الذي كان يمثل الدمار لمزرعات المصريين.

من الأعمال التي ساعدت المصريين في الزراعة استغلال المستنقعات والبحيرات القريبة الواقعة على طول أطراف الدلتا والأراضي المنخفضة أو عند منعرجات النيل وهو الامر الذي مكنهم من كسب بعض الاراضي الزراعية الذي أصبح من السهل بدلا من الاعتماد على الأمطار التي لم تكن كافية لري الأراضي الصالحة للزراعة.[1]

ولا يمكن الكلام عن الزراعة دون الكلام على عمليات الري التي تبرز ذكاء أي أمة زراعية وتعطي فكرة عن معاناة الأنسان القديم مع بيئته وأرضه، أما الفلاح المصري فقد أدرك منذ القدم أن ماء النهر هو عماد الحياة وأن مصر التيلا تسقط فيها الأمطار إلا نادرا, لا يعتمد فيها على ماء المطرإلا في أقصى الشمال لفترة قصيرة من العام, وهذا ما جعله يعمل جاهدا في تهذيب النهر وشق القنوات والترع حتى عدت بلاده شبكة من القنوات يوجهها إلى أرضه الصالحة للزراعة بغية الإستفادة من مياه النهر[2].

ولأن فيضان النيل كان أبرز التحديات القديمة التي واجهت الفلاح المصري فقد كانت أحد أنظمة الري هو نظام حياض الفيضان الذي يتحكم في كميات الطمي ومياه الفيضات ويرجح أنه قد وجد على أيام الدولة الوسطى ولكن هذا النظام لم يكن كافيا إذ كان يسمح فقط بزراعة محصول واحد في السنة ، وهو ما دفعهم لايجاد أنظمة أخرى للري منها استعمال حفر على شكل آبار جوفية تتسرب فيها المياه الفائضة والتي تستخرج ثانية بأيادي الفلاحين قبل اختراع الشادوف على أيام الدولة الحديثة (الشادوف)، فلم تكن القنوات والترع لتصل إلى

[1] سمير أديب، تاريخ وحضارة مصرالقديمة ، مكتبة الأسكندرية، الأسكندرية، 1997 ص 488.
[2] المرجع نفسه، ص 489.

بعض الجهات المرتفعة الصالحة ولذا نراه يخترع الشادوف: وهو عرق من الخشب يتحرك من وسطه على قائم خشبي كذلك وفي أحد طرفي ثقل من الحجر وفي الطرف الأخر دلو من الجلد غوص في كاء الترعة أو القناة ثم يرجع ليصب محتواه في مستوى أعلى وكان الأمر يتطلب احيانا ريب اكثر من شادوف لرفع المياه إلى المستوى المطلوب بحيث يكون مصدر الماء للشادوف العلوي الحوض الذي نصل إليه مياه الشادوف السفلي وهكذا, وقد عرف المصري القديم كذلك إلى جانب الشادوف أداة أخرى لسحب المياه الجوفية وهي الساقية وهي طراز يشبه السواقي التي يصفها الفلاحون اليوم.[1].

عليه فإن مصر كانت منذ قديم الأزل بلدا زراعيا قبل كل شيء يعمل أغلب سكانها بفلاحة الارض، فكان الغذاء الأبرز للمصريين هو الخبز والجعة والتي ترتبط بزراعة القمح والشعير التي لا تزال قائمة إلى أيامنا هذه، أما القمح فقد عرفه المصريون منذ أقدم العصور، كما عرفوا الشعير كذلك وعرفوا من الحبوب أيضا الذرة الرفيعة منذ عهد الدولة القديمة.[2]

أما البقول فقد عرفوا منها أنواعا عديدة تمثلت في الفول والعدس والحمص والترمس والجلبان وقد ذاع صيتها في العالم القديم، وقد ذكر هرودت "أن العدس كان من أهم أطعمة بناء الأهرم"[3]

وكانت أشجار النخيل وأشجار الدوم والتين والرمان والزيتون والتفاح والبرساء وغيرها من الأشجار الأخرى، منتشرة في واحات وبساتين مصر القديمة ، فقد كان المصريون القدماء يعلمون ما للفاكهة من قيمة كبيرة وهو ما دفعهم إلى غرسها بكثر، وقد احتلت الفاكهة مكانة ممتازة لدى المصري القديم في مختلف المجالات.[4]

كما أن الزراعة الخاصة بالبساتين والحدائق لم تكن تقتصر على الأشجار والزهور فحسب، بل إن الخضروات أيضا كان له اهتمام كبير بها، ومن بين الخضر التي أنبتها

[1] ج يووت، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص104.
[2] حسين الإيباري و حسين يوسف، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، دار العلم، القاهرة، 2004، ص 245.انظر: الصورة رقم5 ص72
[3] سمير أديب، المرجع السابق، ص 492.
[4] وليم نظير، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، الهيئة المصرية العام للتأليف والنشر, 1970، ص122.

المصريون نذكر منها البصل والثوم والكراث والفاقوس والفجل والملوخية، كما عرف المصريون القدماء أنواع أخرى من الخضر تمثلت في الكرفس والبقدونس الفجل والكراث والسلق وغيرها وكما أنهم عرفوا البطيخ والشمام والقناء والخيار وقرع والكوسة. ودليل ذلك تؤكد الصور الكثيرة التي تركها المصريون القداء على جدران قبور العصور الدولة القديمة تبين حدائق الخضر في تلك العصور.[1]

كذلك استأنس المصريون بعض الحيوانات كالثيران,والغنم والماعز والخنازير ورغم أن المناخ لم يكن مناسبا بوجه خاص لتربية المواشي فقد لجأت مصر أحيانا كثيرة لاستيراد قطعان من الماشية من النوبة وآسيا، أما الماشية الصغيرة والطيورفكانت تربى أحيانا في المنازل وتسمن للإستهلاك اليومي، وكان من أشهر الطيور التي تربى وتسمن الإوز والبط كما عرف أيضا صيد السمك بالشباك من حقول القمح. [2]

كما كان الحمام ذا أهمية كبيرة في الإقتصاد المصري الزراعي وذلك باعتبار أن الحمام كان أرخص وأشهى أنواع الترف في غذء الأهالي والسبب الأكثر أهمية هو أن الحمام كان ينتج كميات كبيرة من السماد الجيد. [3]

اعتنى كذلك المصريون القدماء بزراعة نباتات كثيرة كانت أكثرها متعقلة بالحياة اليومية والدينية ومن أبرزها :

نباتات الصباغة:

فمن أهم النباتات التي استخرجت منها الأصباغ هي الحناء والقرطم والسنط والرمان والنيلة،.

الحناء: وقد عثر على مومياء مخصبة الأظافر في أحد قبور الشيخ عبد القرنة بطيبة, كما عثر على أجزاء من شجرة الحناء في أحد القبور المصرية القديمة.

[1] ويليم نظير، المرجع السابق، ص 141
[2] إبراهيم نصير سيف الدين وآخرون، المرجع السابق,، ص 6 - 14.
[3] حسين الأيباري وحسين يوسف، المرجع السابق، ص 250.

القرطم: كان يزرع في حقول القمح, وقد عثر على اسمه كدليل في عهد « تيتي » أحد فراعنة مصر القديمة.

السنط: كان المصريون القدماء يستخدمون بذور شجرة السنط من أجل تثبيت الألوان.

الرمان والنيلة: وجد اسمه في اللغة المصرية «رمن» غير أن أقدم رسم له كان في عهد إخناتون وكانت منتجاته كثيرة. أما النبيذ الذي كان يستخرج منه فلم يذكر إلا في العصور المتأخرة، أما قشر الرمان فكان يستخدم من قبل المصريين لصباغة االجلد الأصفر، وقد ثبت من خلال التحليل أن اللون الأزرق كان يستخرج من النيلية ويستخدم للصباغة. [1]

نباتات الدباغة:

ويتضح لنا أن المصريين القدماء قد تفوقوا في دبغ الجلود مما عثر عليه في جدران القبور القديمة المصرية.

الكتان: يعتبر الكتان من أقدم النباتات التي كانت تزرع في مصر منذ العصور القديمة, كما أن المصريون القدماء هم أول من زرعوا الكتان.

البردي : يعتبر البردي من أبرز وأهم النبابتات التي اشتهرت بها مصر القديمة وكانت تعد مركزا هاما لزراعته.

القطن: كما يعد القطن من أهم المحاصيل الزراعية, فهو الثروة الأولى والأم في الزراعة المصرية إذ أنه قاده وافتتحها ولا يزال القطن هو محورها حتى الأن, ولانه من أقدم محاصيلنا الحديثة كان تاريخه سجلا حافلا بالتقلبات والتغيرات العميقة, فإنه يعد أكبر وأفعل تغيرات على سائر عناصرها الزراعية. [2]

النباتات الزيتية:

[1] وليم نظير، المرجع السابق، ص 96 -98 .
[2] جمال حمدان، من خريطة الزراعة المصرية ، دار الشروق، ط 1، بيروت، 1984، ص17

و هي نباتات التي كانوا يستخرجون من بذورها الزيوت. المصريون القدماء هي الكتان والخس والهجليج والزيتون والخروع والقرطم والسمسم والعرعر, وقد عثر على ثمار وجدت ثماره في كثير من المقابر وخصوصًا منذ الأسرة الثانية عشر وكان يستخرج منه زيت يستعمل في التطبيب ومحفوظة منه عينات بمتحف فؤاد الأول الزراعي.[1]

النباتات الطبية:

ويظهر أن المصري منذ أقدم العهود قد برع في استعمال النباتات للطب.ويذكر سليم حين في كتابه موسوعة مصر نقلا عن العالم موريه أنه أحصى في الأوراق الطبية القديمة أكثر من 500 نبات استخرجت منها مواد طبية.[2]

ثانيا ـ الصناعة :

رغم أن مصر اضطرت لاستيراد خامات كثيرة من المعادن والأخشاب فإن قدرتها الصناعية كانت تفوق غيرها في الدقة والاتقان، فالمصريون كانوا يصدرون المنسوجات ، فكان الكتان المصري يتميز بالجودة ونعومة الملمس، كما كان الورق المصري المستخرج من البردي مستعملا بكثرة في روق الكتابة وأشرعة السفن والحبال والنعال، كما كان يصدر إلى الخارج.[3]

وقد كانت أكثر الصناعات رواجا صناعة المعادن المجلوبة من الخارج والصحراء النوبية وقد ارتقى المصريون في صناعته وطورتها استعمالاته الكثيرة في حليّ الملوك والمقابر، كما طرأت على أساليب صناعة المعادن تطورات مع عصر البرونز وعصر الحديد مع بداية الدولة الحديثة، أما الأخشاب فكانت تستعمل في صنع الآلات الزراعية.[4]

استخدم المصريون الحرفيون في عمليات التصنيع أدوات من الحجارة والخشب والنحاس ، كما برع الحرفوين في عمليات النحت بواسطة السكاكين والبلطات النحاسية

[1] وليم نظير، المرجع السابق, ص ص 93-94.
[2] سليم حسن، المرجع السابق، ج2، ص223
[3] ج يويوت، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق،ص 108.
[4] المرجع نفسه، ص108.

فصنعت المركاب والمحاريث والكثير من الأدوات الأخرى كما صنعت التوابيت بأياد متقنة ومحترفة.[1]

ونجد أن أقدم الصناعات التي وجد في مصر هي صناعة الفخار إذ يعود تاريخها إلى العصور النيوليتية وكان يقسم الفخار المصري إلى ثلاث انواع حسب طرازه ، أما مادته فقد كانت أما تغلب فيها المواد العضوية ومركبات الحديد والرمل وعند جفافه يأخذ اللون البنيأو الأحمر أما النوع الثاني فيقلل فيه المواد العضوية بينما يحتوي على مقدار كبير من كربونات الكالسيوم ويأتي لونه رماديا إذا ما جف ، وكانت خطوات صنع وتشكيل الفخار مرتبة ومتطورة تشبه إلى شكل كبير الطريقة الحديثة لصنع الفخار.[2]

أما الصناعة المعدنية فإن أولها كانت الصناعات النحاسية إذ تستعمل في الأثاث اليومي كصانعات السكاكين والأواني والأباريق كما صنعت من النحاس بعض التماثيل الصغيرة التي كاننت توضع في أثاث القبور إضافة إلى بعض الأثاث الخشبي المصنع.[3]

ومع بداية الدولة الحديثة أصبحت صناعة البروزنز منتشرة في مصروتم مزجه بالقصدير والنحاس وصنعت منه السيوف والجلود والدروع ثم صنعت آلات تقطيع حجارة الديوريت واستعملت في صناعة التوابيت.[4]

أما الذهب فهو أبرز مظاهر الصناعة المعدنية في مصر فقد كانت صناعته مرتبطة بالحلي والمجوهرات كالأساور[5]، كما صنعت من الذهب أسلاك رقيقة وصفاح رفيعة ، إضافة إلى أسرة الملوك وبعض الأواني والكراسي كما استخدم الذهب بكثرة في تزيين الآلهة وأبرز أثاث المقابر الخاصة بالملوك.[6]

---

[1] دياكوف ف، كوفاليف س، المرجع السابق، ص127

[2] ألفريد لوكاس، المواد والصناعات عندالقدماء المصريين، تر: محمد زكرياء غنيم، دار الكتاب المصري، د ب، دت، ص596.

[3] ابراهيم رزقانة وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، د ط، مصر للطباعة، مصر، د ت، ص127.

[4] ألفريد لوكاس المرجع السابق، ص 358.

[5] انظر :الصورة رقم3ص70

[6] ناجي شوقي بطرس، المرجع السابق، ص 63 .

وتعد صناعة الزجاج من الصناعات الرائجة في مصر القديمة فقد عثر على الكثير من الخرز والتمائم حيث انتشرت صناعته ومنتوجاته، وقد ساعد توفر المواد التي صنع منها الزجاج كالرمل الكلسي ورمل الكوارتز بإضافة بعض رماد النباتات كما أضيفت له بعض الملونات التي كانت تميز الأواني والخرز الزجاجي المستعمل في الزينة.[1]

كما كانت الصناعة النسيجية من اول الصناعات المنتشرة في مصروالتي في واجهتها الكتان الذي زرع مبكرا في مصر واستخرجت منه أنواع متنقة من خيوط الكتان والتي نسجت منه ملابس وأقمشة ، وقد أتاحت صناعة النسيجية فتح حرف أخرى في مصر كالخياطة والنسج والدباغة والصباغة، كما كانت منتجاته تصدر خارجا إلى أفريقيا وآسيا.[2]

أما النجارة في مصر فكانت حرفة من أهم الحرف فتظهر في صناعة التوابيت التي اختلفت خاماتها حسب الطبقة الاجتماعية، كما صنعت منها صناديق من ألواح خشبية وقد كان النجار من أهم فئات المجتمع وحملت ألقابا وتخصصات منها النجار الملكي ونجار بيت الأبدية.[3]

ومن أهم المنتجات الخشبية التي طور الناجرون المصريون صناعتها صناعة الصناديق والكراسي القابلة للطي، وبتعدد استعمالاتها اليومية كالأسرة ومساند الرأس والكراسي والمناضد والخزانات والأثاث الجنائزي كالتوابيت[4] والتماثيل الصغيرة ، وكانت خامة الأخشاب محلية من أشجار الجميز والنخيل والأرز ومستوردة كخشب الأبنوس والصنوبر وغيرها وكانت مهمة النجارين هي تعريض هذه الخامات إلى أعمال التهذيب واللحام والتجميع والنحت والرسم والتلوين وذلك من أجل أخراج تحف خشبية عالية الإتقان.[5]

ثالثا ـ التجارة:

[1] سمير أديب، المرجع السابق، 558

[2] إبراهيم رزقانه، المرجع السابق، ص127

[3] إيمان محمد نبيل، تكنيك صناعة وتشكيل التوابيت الخشبية في مصر القديمة ، دراسات في آثار الوطن العربي، د ت ن، ص35.

[4] انظر: الصورة رقم 4 ص71

[5] نظر: محمد راشد حامد،أشغال النجارة في مصر القديمة، رسالة ماجستير منشورة جامعة القاهرة، 1996، ص 22.

يعتبر نهر النيل عند الكثير من المؤرخين النقطة الحية التي نشأت حولها حضارة مصر وشجع ابداعها وهو واعتبره آخرون روح مصر وشرايينها، وقد تحكم المصريون في هذا النهر منذ القدم ونظموا مياهه فأضافوا إليه الخلجان والترع وأقامو عليه الجسور والقناطر مما جعلوا منه شبكة المواصلات الرئيسية حيث الانتقال على صفحة بسهولة شمالا وجنوبا

فكل ذلك ساعد على جعل النهر يوفر وسيلة مواصلات طبيعة سهلة غير مكلفة ومنتظمة في نفس الوقت لا تضارعها أيه وسيلة أخرى في ذلك الحين، وربط مصر بالعالم لخارجي عن طريق التجارة القادمة من قلب أفريقيا كما حملت صفحته أيضا التجارة من إلى شبه الجزيرة العربية وبلاد الهند وآسيا من تغوره المختلفة، وأدت دلتاه دور الفرع الموصل إلى فينقيا وأوربا .[1]

وبما أن أهم مدن مصر تقع على طول النهر فقد أصبح النيل هي الطريق الرئيسي للمواصلات وبذلك كانت السفن والزوارق تستعمل من أجل الانتقال من مكان إلى آخر لنقل المنتجات والمصونوعات، وعلى الرغم من تطور المهن استمر استغلال النيل والتنقل عبره للتزويد السوق الداخلية من خلال تبادل منتوج بآخر من ذلك منتوج السمك والخضار والأنسجة [2]

وقد كانت أنشطة لتجارة من مسؤولية الدولة، وتتضمن معظم المعاملات التجارية التي تبينها السجلات كميات قليلة من السلع وبعض العقود الخاصة بالأفراد، ويتضح أن تدخل الوسطاء المحترفين كان أمرا نادرا؛ مما يدل أنهم كانوا فقط وكلاء تجاريين بإسم الملك أي أنهم لم يكونوا تجارا أحرار بل موظفين وأن التجارة كانت بيد الملك.[3].

وكانت الطرق التجارية تستخدم لتصريف المنتجات المصرية واستيراد الحاصلات الخارجية فكانت السفن تسافر من الموانئ النيلية لتتاجر في البلدان المجاورة مستبدلة القمح والنبيذ والزجاج وبعض الأثاث والأواني الفخارية بالتماثيل من بلاد الإغريق والصفيح

[1] ابراهيم رزقانة ووآخرون، المرجع السابق، ص 134
[2] المرجع نفسه، ص 134.
[3] ج يويوت، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص 109.

والملابس من جزيرة صقلية ومما لا شك فيه أن هذه التجارة كانت عاملا هاما في تبادل الأفكار والثقافات بين مصر والبلدان التي تعاملت معها تجاريا.[1]

وقد كان في مصر الكثير من الأسواق المحلية المنتشرة على ضفاف نهر الينل والتي كان الانتقال إليها سهلا عبر النهر فقد صورت جدران المعابد مناظر تلك الأسواق حيث ينتقل في التجار عبر الزواق ولم تكن الأثمان رائجة في تلك الفترة بل كانت الجارة تجري بالمقايضة.[2]

لقد كانت مصر إلى حد كبير حضارة منفتحة على جيرانها خاصة وأنها لم تكن تنتج الكثير من السلع التي تلبي احتيجاتها فقد سعت السوق المصرية إلى توفير بعض السلع من الخارج خاصة الأخشاب والجلود والبخور والزيوت، والمعادن الثمينة خاصة اذهب والفضة بينما كانت مصر تصدر الكثير من المصنعات والمدبوغات خاصة الكتان والبردي.[3]

كما حرصت مصر على استيراد المواد الخام؛ يدخل ضمنها أشجار ونباتات لم تكن توجد في أرض مصر كشجر التين الذي جلب من دزيرة العرب والزيتون الذي جلب من فلسطين والتي لم يكن ينمو إلا فيها، كما استورد المصريون أخشاب البرساء والزان والسرو من شرق الأردن، والصوبر من آسيا الصغرى، وخشب الأبنوس من النوبة وبنت منذ القدم، وقد استعملت الكثير منها لصناعة السفن مما أدى إلى تقدم تجارتها وتوسعت صلاتها الخارجية بفضل التجارة.[4]

وكانت مصر أغنى الأقطار القديمة بسبب استغلالها للذهب منذ القدم، وكانت معملاتها أحيانا تقوم على مبادلة الذهب بالسلع الخارجية لاسيما تلك المقتنيات الخاصة بالفرعون كالزجاج والأحجار الكريمة، ويمكننا القول أن تجارة مصر الخارجية كانت متخصصة فأحيانا كانت تجلب موادا خاما كالخشب والأحجار الكريمة والذهب والفضة وأحيانا كانت تجلب مصنعات جاهزة وتشير هذه الخاصية إلى انفتاح المصريين على الحضارات

[1] إبراهيم نميرسيف الدين وآخرون، المرجع السابق، ص7.
[2] ابراهيم رزقانه وآخرون، المرجع السابق، ص 136.
[3] أحمد رشاد موسى، المرجع السابق، ص 257.
[4] وليم نظير المرجع السابق، 115-136.

المعاصرة وعلى الصلات معها فقد وجدت في مصر نماذج من الصناعت العراقية منها بعض الأواني التي تنتمي إلى حضارة جمدة نصر بالعراق القديم.[1]

ومن المواد التي لم يعرفها المصريون قديما إلا عن طريق التجارة فقد كان معدن الحديد والذي كان متوفرا بكثرة في أرض مصر إلا أن المصريون توصلوا إلى حقيقته حين بدأ استيراده من آسيا الصغرى والمناطق المجاورة لها.[2]

وقد نمّت التجارة علاقة مصر بالبلدان المجاورة لها ؛ فنمت العلاقات مع فينيقيا مما أدى إلى وجود جالية مصرية قديمة في جبيل لرعاية المصالح التجارية بين البلدين، كما فتحت تجارتها الطريق إلى التجارة في أسيا الصغرى، ومكنتها تجارتها مع جيرانها في الجنوب لنقل ثقافة حضارتها ومعبوداتها إلى قلب إفريقيا والساحل الشرقي للقارة على غرار غرب القارة كما جعلت مصر قبلة للكثير من الجاليات والأفكار.[3]

[1] أحمد أمين سليم، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 2014، ص 15
[2] نجوى خالد الجمال، الدور السياسي والحضاري لمصر الفرعونية في منطقة الشرق الأدنى القديم ، د ط، دار النهضة العربية، بيروت ، ص316.
[3] نجوى خالد الجمال، المرجع السابق، ص 318.

الفصل الثالث: التجارة بين بلاد النوبة و مصر القديمة بين (2900 – 1085) ق.م

المبحث الأول: في عهد الدولة القديمة (2900 - 2280) ق.م

المبحث الثاني: في عهد الدولة الوسطى (2060 - 1785) ق.م

المبحث الثالث: في عهد الدولة الحديثة(1580 - 1085) ق.م

كان تواجد أرض النوبة إلى جانب أرض مصر نعمة على القطرين، فلقد تاجرالنوبيون كما المصريون مع ممالك على طول البحر الأحمر وسواحل البحر الأبيض والجنوب الإفريقي، وجمعت بينهما مصالح تجارية وتبادلات حضارية حفظ لنا التاريخ الكثير منها فكان أهم شاهد على تميز هذه العلاقات بين البلدين.

عرف المصريون كل مستلزمات التجارة والمعاملات منذ عهد الدولة القديمة ونشأت فكرة أولية عن العديدة من الإدارات مثل: إدارة الجمارك والتجارة الخارجية، مما ضمن لمصر التأثير تدريجيا على الكثير من مناطق العالم القديم والنوبة بصفة خاصة، إلى أن أصبحت كل منهما مكملة للأخرى من الناحية الاقتصادية، فأدى هذا التطور إلى تسهيل التبادل بينهما.

يتناول هذا الفصل أهم المبادلات التجارية والسلع وأهم التطورات التي شهدتها تجارة أرض النوبة في عهد ملوك مصر القديمة في مختلف العصور ، بحثناها في المبحث الأول ضمن عهد الدولة القديمة بينما ركز المبحث الثاني على أهم السياسات الجديدة التي اعتمدتها مصر للحفاظ على تجارتها مع النوبة، وكيف أصبحت هذه العلاقات على عهد الهكسوس، بينما تناول المبحث الثالث كيف شهدت التجارة النوبية المصرية في هذا العصر تطورا وتنظيما كبيرين.

المبحث الأول: في عهد الدولة القديمة (2900 - 2280) ق.م

كان دور ملوك الدولة القديمة فعالا في تسهيل وتشجيع الحركة التجارية المصرية بالبلدان المجاورة لحاجة البلاد الملحة للمواد الأولية في الصناعة وسد إحتياجات مصر من المواد الاستهلاكية، وقد تولدت رغبة كبيرة لفتح التجارة من الجنوب بسبب وفرة الموارد المصنفة بشكل كبير في الأراضي النوبية (خاصة الذهب والأحجار الكريمة وخشب الأبنوس) والتي كانت دائما تبهر المصريين القدماء، وربما كانت الرغبة في السيطرة على

التجارة في النوبة هي التي جعلت الفراعنة المصريين يحاولون ضم الأراضي الجنوبية؛ في عهد الدولة القديمة.[1]

وقد اعتمدت الدولة المصرية منذ عهد الدولة القديمة على فئة خاصة من الرجال للقيام بدور الوسيط التجاري بين البيت المالك وتلك البلدان وخاصة مع الجنوب ، فكان الملوك يعهدون إلى من يثقون فيهم من الرحالة والمغامرين أمر قيادة القوافل والبعثات التجارية، وهذا معناه ان الدولة هي المسـؤولة عن الحركة التجارية والمسيطرة عليها وليس الافراد إذ لم يكن للتجار كيان واضح في النصوص المصرية في عهد الدولة القديمة [2]

واستفاد التجار كثيرا من هذه الرحلات وقربتهم لدى الملوك فتمت عملية تكليفهم رسمياً بقيادة القوافل التجارية، كان لهم مكانة كبيرة بين القبائل النوبية وخاصة القبائل القاطنة بالقرب من الشلال الأول[3]، ومن أبرزهم «حرخوف» من عهد« بيبي الثاني» (2246-2157) ق.م. من الأسرة السادسة (2323- 2150) ق.م وقام وكيل التجارة «حرخوف» بأربع رحلات تجارية ، كما قام الكثير من الملوك بإرسال تجار لقيادة قوافل التجارة إلى بلاد النوبة في عهد الدولة القديمة وبعدها.[4]

تدلنا المعلومات المتوفرة في المراجع على أن العلاقات الأولى لمصر ببلاد النوبة كانت خارج نطاق التجارة فتدل النقوش التي يرجع عهدها إلى أوائل الأسرة السادسة (2323-2150) ق.م وما قبلها مباشرة على أن العلاقات بين مصر وبلاد النوبة كانت ودية؛ وأن أمراء النوبة كانوا يقدمون خدمات متفرقة للملوك الفراعنة مقابل أجور معينة مثال ذلك؛ المساعدة التي قَدَّمَهَا الرؤساء الوطنيون للقائد «وني» عندما ذهب لاحضار الأحجار لهرم «مرنرع» من أسوان ، فلا بد أن هؤلاء الأمراء كانوا يقومون بتقديم هذه الخدمات في مقابل أجر أو منفعة خاصة[5] وأيضا لما قام الملك «بيبي الأوَّل» سنة 2600 ق.م بحملة على البدو

[1] Ibrahim Anoba ,lok cit.
[2] محمد ابو المحاسن عصفور ،علاقات مصر بالشرق الادنىالقديم من اقدم العصور إلى الفتح اليوناني، مطبعة المصري، الاسكندرية ،1962، ص 29-30.
[3] المرجع نفسه، ص 26.
[4] نعمات عمر عبد الجبار، تاسيتي (أرض القوس) بلاد الكوشيين والنوبيين رماة الحدق، مجلة الدراسات السودانية، مج17، أكتوبر 2011، ص 92.
[5] سليم حسن، المرجع السابق، ج10،ص 78

وكان جيشه في هذه الحملة لا يقتصر على جنود رديف من المقاطعات المصرية المختلفة، بل كان يشمل فرقًا من أهل النوبة من بلاد «أرثت» و«مجا» و«يام» و«واوات»[1] وكانوا جنودًا نوبيين قد انضمُّوا إلى صفوف الجيش المصري، وهؤلاء كانوا قد جُذِبُوا إلى مصر في جماعات للخدمة؛ كما فعل الملك «سنفرو» من الأسرة الثالثة سنة 2900 ق.م لما غزا بلاد النوبة، وأسر سبعة آلاف من الرجال والنساء، وغنم ألفين من الثيران والعجول، فلما جاء إلى مصر استخدم الرجال في أعمال الحكومة، والنساء في القصر الملكي، أما الثيران والعجول، فبعضها ذُبح للطعام، والبعض الآخر احتفظ به لتربية نتاجه لجودة نوعه[2]

ثم إن هذه العلاقات أخذت تتطور ونشطت معها التجارة بين بلاد النوبة ومصر، و التي تعد من وجهة نظر المصريين – أي الملوك – جزءاً متمماً لبلادهم، فبعد أن اقتصرت في عهد الأسرة الاولى (3200ـــ 2980) ق.م ، والأسرة الثانية (2980-2650) ق. م. على إرسال البعثات للحصول على معدن النحاس من سيناء والعاج من النوبة، فقد أصبحت في عهد الاسرة الرابعة (2575- 2465) ق.م. بعثات تجارية رسمية فقد أرسل الملك (سنفرو2575ـ 2551) ق.م. بعثات تجارية إلى النوبة وغيرها التي جلب منها عدداً كبيراً من الأسرى والماشية ، كما كان هناك رحلات تجارية بين مصر وبلاد النوبة خلال عهد الاسرة الرابعة حيث تم تبادل الحبوب والكتان المصري والقيشاني والعسل بالماشية والنبات[3]

وقام ملوك الاسرة الخامسة (2465- 2332) ق.م. خلال هذه الفترة بإنشاء منصب سياسي واقتصادي لأول مرة عرف ب« حاكم الجنوب » وكان مسؤولا عن حراسة بوابة الجنوب وتنظيم التبادل التجاري وتسهيل انتقال البعثات التجارية،كما قاموا بتنشيط التبادل التجاري الخارجي وتوسيعه مع البلدان المجاورة بعد أن أنهكوا خزينتهم ببناء الأهرامات مما اضطرهم لزيادة النشاط التجاري في عهد الملك (اوسر - كاف 2465- 2457) ق.م. خاصة مع بلاد النوبة، وقام الملك ساحورع (2458 – 2446) ق.م. باستغلال البحر الاحمر لإقامة مواصلات بحرية مع بلاد بونت من اجل الحصول على الذهب والفضة. والنحاس من

[1] انظر: عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية ، ج1، مؤسسة هنداوي، القاهرة 2013، ص42

[2] المرجع نفسه، ص42

[3] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق ص 24.

الصحراء الشرقية لعمل انابيب نحاسية لهرمه لتصريف المياه والذي يمتد على طول الممر وطوله حوالي الفا قدم[1]

ولم تنقطع الصلات التجارية مع الجنوب بل نسجل في عهد (نفير كارع 2446- 2426) ق.م أنه اتصل بالنوبة والذي أمر بصنع تابوت من خشب الأبنوس المطعم لأحد موظفيه.[2]

وفي عهد الأسرة السادسة (2323- 2150) ق.م. استمر النشاط التجاري مع بلاد النوبة وبلاد بونت حيث يذكر «حرخوف» أحد قواد القوافل في عهد« بيبيالثاني » (2246- 2157) ق.م. أن احد الموظفين في عهد «اسيسي» قام بجلب قزم من أقصى الجنوب على طريق بلاد النوبة مما يدل على كونها طريقا تجاريا مهما[3]

وقد تأثرت قوافل التجارة في هذه المرحلة بتأثر العلاقة السياسية بين مصر والنوبة في عهد الأسرة السادسة فبعد هذا العهد إشارات تدل على تحول بعض القبائل النوبية عن هذا الولاء بعد أن أصبحت بعض هذه القبائل تعتدي على رجال البعثات التجارية وقد أصبح خطرهم مما اضطر بيبي نخت لتأديب بعضهم لذلك.[4]

ويمكن أن نستنتج من ذلك أن النوبيين قد استشعروا الضعف الذي أصاب الحياة السياسية في أواخر عهد الأسرة السادسة الذي عقبه عهد من الثورة والضعف الذي يعرف بعهد الفوضى الأول أو الإضمحلال الأول[5]

أما أبرز السلع التي كانت تتحصل عليها مصر من تجارتها مع النوبة في هذا العصر: فقد وجد العاج في مقابر عصر ما قبل الأسرات، كما وجد الأبنوس وجلود الفهود والكباش والعجول الصغيرة والكبيرة وأحجار الديوريت وبعض الأخشاب التي تصنع منها السفن، وأيضا تم استيراد: الكروم والزيوت وبعض الحبوب والبخور وعصى الرماية.[6]

[1] عبد الحميد زايد وج دافيس، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص 135.
[2] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق ، ص 26.
[3] المرجع نفسه، ص 26.
[4] المرجع نفسه، ص 32.
[5] عبد الحميد زايد وج دافيس،تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص 136
[6] سليم حسن، المرجع السابق، ج10، ص 80 ومحمد أبو المحاسن عصفور،المرجع السابق، ص 33-34

كما تم إرسال من مصر إلى النوبة: الحبوب والكتان المصري والقاشاني والعسل، وبعض المصنوعات تتمثل في بعض الآلات النحاسية والأسلحة والمنسوجات وبعض العطور.[1]

ويورد عصفور في كتابه ملاحظة مهمة تتعلق بعدم ذكر الذهب كسلعة مستودرة من النوبة في عهد الدولة القديمة فيرجع لك إلى أن مناجمه لم تكن معروفة أو أن الكميات التي كانت تستخرج منه كانت قليلة يستغلها بعض الأفراد لحاجتهم الخاصة وسنرى أنه يبدأ ذكر هذا المعدن في عهد الدولة الوسطى حيث أصبح أهم الصادرات النوبية إلى مصر.[2]

وقد سارت علاقة مصر مع النوبة من الناحية التجارية في عهد الدولة القديمة بمراحل من الركود فهذا النشاط الذي ظهر في بلاد النوبة بصفة جدية، وكذلك إرسال الحملات التأديبية لم يستمر طويلًا؛ وذلك لأن الوهن والضعف وسوء الحكم كان قد أخذ يتفشى في البلاد في أواخر الأسرة السادسة ممَّا أدى إلى القضاء على كل نشاط سياسي خارج البلاد، سواء أكان ذلك في الشمال تجاه آسيا أم في الجنوب تجاه بلاد النوبة، وقد ظلت العلاقات بين مصر وهذه البلاد تكاد تكون معدومة، غير أن الحفائر التي عملت في بلاد النوبة في أوائل هذا القرن قد دلت على ظهور حالة جديدة في بلاد النوبة لم تشاركها فيها مصر[3].

ومكن الوضع الحضاري في مصر منذ الدولة القديمة من تنظيم التجارة؛ فتكونت هناك مجموعة من الكتاب البارعين في الكتابة وأعمال المحاسبة ونشأت العديدة من الإدارات المالية مثل: إدارة الجمارك وإدارة التجارة الخارجية، وكانـــــــــــــتالضرائب تفرض على الواردات، ممـا يـدل علـى ازدهار الاستيراد والتصدير، كما تعددت المراكز الهامة للتجارة الداخلية والخارجية على حد سواء.[4]

وقد عقبت هذه المرحلة قيام مجموعة بشرية جديدة في النوبة عرفت بالمجموعة C ، لم يكن هناك أي تبادل تجاري بين أهل مجموعة ثقافة C ومصر، ومن جهة أخرى نستخلص أنه كانت تقوم بين هؤلاء الناس وبين سكان ساحل البحر الأحمر معاملات تجارية، إذ كانوا

[1] O'Connor, David,"**Ancient Egypt and Black Africa**" . Expedition Magazine 14.1 (1971): n. pag. Expedition Magazine. Penn Museum, 1971 Web. 16 Jul 2020 .http://www.penn.museum/sites/expedition/?p=2262

[2] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص55.

[3] سليم حسن، المرجع السابق،ج10، ص 82- 83.

[4] أحمد رشاد موسى، المرجع السابق، ص 114.

يجلبون من ساحل البحر الأحمر الأدوات الضرورية للزينة وبخاصة المحار الذي كان يحمله بدو الصحراء الشرقية إلى وادي النيل.[1]

[1] سليم حسن، المرجع السابق، ج10، ص86.

المبحث الثاني: في عهد الدولة الوسطى (2060 - 1785) ق.م

أما خلال فترة الدولة الوسطى(2135-1788)ق.م. عاد نشاط التجارة الداخلية والخارجية في مصر، وخاصة في عهد الاسرة الحادية عشر (2134-1991) ق.م بعد أن قضى ملوك هذه الأسرة على كل مقاومة في داخل البلاد وأصبحت مصر من جديد موحدة، أخذت تنهج سياسة نشاط وتوسُّع في الخارج، وازدهرت الكثيرمن المشاريع على نهر النيل وأعيدت سلطة الحكومة إلى مناطق النوبة جنوبي الشلال الأول، ونشط استغلال الذهب وتجارته وكذا باقي السلع من الحبوب والمواشي.[1]

وأخذت الدولة الوسطى سياسة جديدة تختلف عن سياسة الدولة القديمة التي كانت تعتمد على التجار للتجارة مع النوبيين وتعمل على حمايتها ببعض القوات العسكرية؛ فكان في عهد الدولة الوسطى أنها بدأت تعمل على إحتلال مناطق من النوبة والتوغل داخلا نحو الجنوب[2] ويشير سليم حسن[3] إلى أن الدولة الوسطى أرسلت حملات من أجل مطاردة المغيرين وتأمين طرق التجارة بين مصر والنوبة كالعادة ولكنها استغلت هذه الفرصة لتعمل على سياسة توسعية في بلاد النوبة اعتمدت على:

ـ بناء الحصون التي أسبقتها بحملات تأديبية قادتها الأسرة الثانية عشر خاصة الحملة الكبرى ل«سنوسرت الأوَّل» (1980-1935) ق.م التي وصل بها حتى «الشلال الثالث» وتعد من أهم الحملات التي قام بها ملوك الأسرة الثانية عشرة، وكان غرضه من هذه الحملة إخضاع النوبة السفلى وتثبيت حدود مصر الجنوبية إلى نقطة تبعد نحو 250 كيلو مترًا من جنوبي «وادي حلفا» التي تعتبر الآن الحد الشمالِي لبلاد السودان وبذلك تصبح كل بلاد النوبة السفلى وشمال السودان خالية من كل اعتداء أو غزو من جهة القبائل البدوية.[4]

---

[1] من (2590 إلى 2420) ق.م سيطر المصريون على النوبة السفلى بين الشلال الأول والثاني ، ولكن تم التخلي عنها في النهاية جزئياً بسبب عدم الاستقرار السياسي في مصر نفسها وجزئياً بسبب توغل الشعوب الأفريقية في النوبة السفلى. هؤلاء الناس ، الذين ربما كانوا على صلة بالمجموعة A. ويطلق عليها علماء الآثار مجموعة C وهي القبائل الجديدة في النوبة من بدو الصحراء، وربما جاءوا من الصحاري التي تجف بسرعة إلى الشرق والغرب. سليم حسن، المرجع السابق ج10، ص140.

[2] ناجي شوقي بطرس، المرجع السابق، ص68.-69.

[3] سليم حسن، المرجع السابق، ج3، ص 122.

[4] David N. Edwards, The Nubian Past: An Archaeology of the Sudan, New York: Routledge, 2004. p 343

وهذه الحملة التي قامت في السنة الثامنة عشرة من حكم هذا الفرعون كانت بقيادة قائد يُدعى «منتوحتب» الذي ترك لنا نقشًا في معبد «بهين» بـ«وادي حلفا» مُثِّلَ في أعلاه «سنوسرت الأوَّل» والتي كان من نتائجها: بناء حصن «كوبان»[1]

وكانت هذه الحملات إلى صحراء النوبة الشرقية تمهيداً لبعثتيه الاقتصاديتين، إذ أرسل الأولى بقيادة وزيره مع ابن الملك البكر والثانية أيضاً إلى الجنوب حيث جلبوا الذهب من بلاد النوبة.[2]

وبلغ عدد الحصون في عهد «سنوسرت الثالث» 17 حصنا كان من أهمها حصن «الألفانتين» و قلعة «سمنة» وقلعة «قمة» وكان سبب ذلك أن التجارة الجنوبية أصبحت مهددة جدًّا من رجال القبائل في مواضع بالقرب من «سمنة» وبخاصة على الشاطئ الغربي. وكان ذلك هو السبب الرئيسي في تدخل «سنوسرت الثالث» لتحرير طريق التجارة الموصلة إلى «كرمة»[3]

تدلنا البقايا الأثرية على كمية النشاط التجاري في هذه المراكز ماكان متداولا في مركز خور داوود حيث عثر على أزيد من 578 حفرة تخزين وأكثر من 74 من الحفر كانت تحتوي على أواني مصرية، كما احتوت العديد من الحفر على قطع وفيرة من قشر بيض النعام ، في حين تألفت الاكتشافات العضوية الأخرى من بعض أحجار التمر وكمية صغيرة من الشعير والقمح، كما تم العثور على قطعة من سوار عاجي وقطعة من البرونز، ويشير تصنيف الأواني إلى أن الموقع تم استخدامه تقريبًا بين 3500 و 3200 ق.م وهو ما يدل على قدم التجارة الخارجية بين النوبة ومصر، ودليل آخر هو أن مدينة «أبو»، التي تعني "الفيل" في مصر القديمة، قد تم إنشاؤها في جزيرة «الفنتين» حوالي 3200 ق.م حيث يرجح أن يكون أفراد المجموعة الأولى قد جلبوا السلع الأفريقية شمالًا إلى الشلال الأول ليتاجروا بها مع المصريين.[4]

[1] سليم حسن، المرجع السابق،ج10، ص 150.انظر: الصورة رقم6 ص73
[2] إيمان شمخي جابر، التجارة في مصر القديمة، كلية الآداب جامعة البصرة، ع20، 2016، ص72.
[3] ناجي شوقي بطرس، المرجع السابق، ص 78 انظر الخريطة رقم5 ص81
[4] Henriette Hafsaas,op cit .p27

ـ بناء السدود وحفر الآبار حيث أقام سنوسرت الأول سلسلة من السدود على الضفة الغربية للنيل للتحكم في المياه، كما قام (منتوحتب الاول 2125- 2112) ق. م. فور تتويجه ملكا بحفر بئر في «وادي الحمامات » وبذلك فتح طريق القوافل إلـــى بـــلاد النوبـــة وساهم في تأمينه.[1]

ـ تقسيم بلاد النوبة إلى أقاليم إدارية تسير على نظام شبيه بما هو موجود في مصر ووفرت لهم الحصون للاستقرار يها، وأن هذه الإدارة كانت تحت إشراف الوزير المقيم في طيبة مباشرة وأن هذا الوزير كان مهمته الإشراف على الموظين والذين بدورهم يقومون بالإشراف على عمليات التعدين وتأمين طرق التجارة والحدود.[2]

ويذكر سليم حسن كذلك أنه بعد هذه الحملة لم توجد دلائل على قيام حروب جديدة بين البلدين أو الشروع في حروب، أي بعد السنة الثامنة عشرة من حكم «سنوسرت الأوَّل» بل على العكس يظهر منها أنها تدل على وجود نشاط عظيم في الأراضي النوبية للحصول على المواد الغفل، كما أصبحت النوبة تدفع جزية سنوية يشرف على جمعها الموكلون بالتجارة في النوبة.[3]

فسياسة الدولة الوسطى لم تكن مقتصرة إذا على إخضاع النوبة لأسباب عسكرية بل لأسباب تجارية كذلك للإحتفاظ بطرق التجارة إلى النوبة و إلى قلب أفريقيا، وكذلك للتفرغ من أجل استغلال المحاجرلجلب النحاس والذهب خاصة من « وادي العلاقي» و« وادي قبقبة» في الصحراء الشرقية، وأيضا من تلك المناجم المتناثرة على طول وادي النيل.[4]

ولم يعد هناك ذكر لمادتي الخشب والماشية كثيرا في محصولات النوبة كما كان الحال في عهد الدولة القديمة وذلك أنه لم تعد له نفس الأهمية حيث أصبحت النوبة أقل انتاجا له.[5]

---

[1] إيمان شمخي جابر، المرجع السابق، ص 72.
[2] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص50-52.
[3] انظر الصورة رقم7 ص74
[4] أمينة عبد الفتاح محمد السوداني، المناجم والمحاجر في مصر القديمة منذ بداية الدولة القديمة وحتى نهاية الدولة الحديثة، بحث لنيل درجة الدكتوراه في الآداب،2000 تحت إشراف: الأستاذ الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف والأستاذ الذكتور عبد الفتاح عامر، جامعة طنطا ، ص82
[5] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص50.

وتمكننا المقارنة أيضا من ملاحظة اختلافات بين الدولة القديمة والدولة الوسطى حيث كانت الدولة القديمة ترسل معظم بعثاتها لاستخراج المعادن والأحجار من أماكن في الصحراء الشرقية، بينما توجهت هذه البعثات إلى النوبة بينما نلاحظ أيضا تغير واردات مصر من بلاد النوبة حيث كان الخشب والماشية في عهد القديمة أهم السلع الواردة وأصبح الذهب وبعض المعادن الأخرى والأحجار أهم واردات الدولة الوسطى.[1]

كما اعتمدت مصر على النوبة بالإضافة إلى المعادن استهدف المصريون الحصول على العقيق الأحمر وحجر الدم الأماسون والفيروز والملاخيت والصوان والأمثسيت، وكانت في الحصول على الأخشـــــــــاب والفضة والمعادن والاحجار الكريمة والزيوت ، فضلاً عن حصولها على النباتات والاعشاب والطيور وجلود وفراء الحيوانات، والاخشاب والعصي من الواحات وكانت تصدر مصر بالمقابل في عهد الدولة الوسطى الورق والاواني والمنسوجات والمصنوعات.[2]

ثم أعقبت هذه المرحلة من الإخضاع دخول جل بلاد النوبة العليا تحت السيطرة المصرية وبدأ بذلك عهد جديد من العلاقات بين القطرين عرفت فيه الاقتصاديات النوبية تطورا في الناحية الصناعية والتجارية فمن أمثلة ذلك[3]:

- تطور صناعة الفخار النوبي الأحمر المصقول ذو الحافة السوداء حيث تناوله المصري بالتعديل وأنتج منه صنفا دقيق الحبيبات يعد أجمل ما أنتج في واد النيل، وازدادت أهمية صناعة الأواني الفخارية ودخلت عليها الكثير من التعديلات بفعل هذا التأثر المصري النوبي[4]

- كما التحق الكثير من العمال النوبيون بتلك الحصون للحصول على وظائف أو الإتجار مع سكانها، كما كان التجار النوبيون يلتقون في الأسواق مثل : إكن وأسوان وغيرها.

[1] أحمد فخري، مصر الفرعونية، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة، ط3، 2012، ص33.انظر الخريطة رقم 6 ص82 بأهم أماكن تواجد الذهب بالنوبة.
[2] نجم الدين محمد شريف، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق ، ص278.
[3] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص54 و57.
[4] انظر: الصورة رقم 8 ص75.

كما يلاحظ أن أعمال الملوك اللاحقين من الأسرة الثانية عشرة أي في عهد كل من «أمنمحات الثالث» (1841 – 1792) ق.م و«أمنمحات الرابع»(1792- 1782) ق.م والملكة «سبك نفرو رع» (1782-1778) ق.م كانت قليلة جدًّا، وأنها اقتصرت على إصلاح بعض الحصون كما في عهد «أمنمحات الثالث» حدث في «كرمة» إصلاح في سور « أنبو أمنمحات» على يد موظف مصري، مما يدل على أنه في هذا العهد كانت وكالات التجارة التابعة للحكومة محمية وأن التجارة كانت مزدهرة بين النوبة ومصر.[1]

وبإنتهاء حكم «سبك نفرو رع» (1792–1787 ق.م) انتهى حكم الأسرة الثانية عشر وانتهت فترة الدولة الوسطى والتي بدأت باسترجاع السلطة المركزية على يد منحوتب الثاني في منتصف الأسرة الحادية عشر و استمرت إلى عهد الملكة «سبك نفرو رع» ومنها انتقل الملك إلى الأسرة الثالثة عشر، وكان سقوطها نتيجة لحدوث اضطرابات داخلية، نتج عنها ما يعرف بعصر اللامركزية الثاني أو فترة الإضمحلال الثاني.[2]

وقد سارت قوافل الذهب والتجارة في هذه المرحلة من سنار إلى جزيرة مروى، وكانت تستمر في الصحراء إلى مدينة نبتة حيث ينتقل في سفن عبر نهر النيل إلى مصر، أما في عهد الأسر الثالثة عشرة والرابعة عشرة (1786 إلى 1674) ق.م والخامسة عشرة، والسادسة عشرة (1674 إلى 1567) ق.م، فتاريخ مصر في النوبة غامض جدا، ويقول المؤرخون: إن نفوذ مصر قد ضعف، وأن القبائل النوبية قد امتنعت عن دفع الجزية إلى مصر في ذلك العهد.[3]

فترة الإضمحلال الثاني(1700 - 1580) ق.م

وهي الفترة التي حلت في مصر منذ نهاية الأسرة الثانية عشرة وينتهي في حوالي عام 1580 ق.م بنجاح الملك «أحمس الأول» في طرد الهكسوس[4] من مصر وتأسيس الأسرة

[1] سليم حسن، المرجع السابق، ج3، ص 13.
[2] ناجي شوفي بطرس، المرجع السابق، ص87.
[3] عبد الله حسين، المرجع السابق،ص43
[4] يجمع المؤرخون أن كلمة هكسوس مشتقة من الكلمة المصرية حقا خاسوت التي كان تطلق على حكام البلاد الأجنبية أما المقصودون بكلمة الهكسوس فهم الراجح أنهم جماعة من الجنس السامي جات أصلا من أوسط سيا واستقرت في فلسطين فترة، ثم بدأوا في التسلل إلى شرق الدلتا أيام الأسرة الثالثة عشر بحثا عن لقمة العيش ومع الزمن ونتيجة لما أصاب مصر

الثامنة عشرة، وفي هذا العصر سادت مصر مرحلة من الضعف السياسي أدى إلى إنفصال أجزائها واستقلال النوبة بالحكم الذاتي متمثلا في مملكة كوش(1730– 1580) ق.م وعاصمتها بوهن، وفيه انكمشت التجارة مصر مع النوبة وكذلك خطوط المواصلات التجارية لم تكن بعدُ في يد الحكومة المصرية[1]

وقد كان غزو الهكسوس لمصر السفلى ، حوالي عام 1786 ق.م ، حيث حكموا مصر السفلى وكانت عاصمتهم « أواريس» أو«أفاريس» ، و في عام 1650 ق.م تحالف الهكسوس مع النوبة في مجال التجارة والسياسة ، و سيطر النوبيون على صعيد مصر وكانت عاصمتهم كرمة، ونتيجة لذلك ، اقتصرت سلطة الملوك المصريين المستقلين على منطقة صغيرة حول طيبة.[2]

من ضعف قوى نفوذهم واستولوا على عرش مصر تأسيس عاصمة في أورايس شرق الدلتا ثم تمكنوا من احتلا كل الدلتا ثم امتد إلى مصر الوسطى شمال الأشمونين انظر سيد توفيق، معالم وتاريخ حضارة مصر، دار النهضة العربية ،1987، ص251-260

[1] أحمد رشاد موسى، المرجع السابق ص177

[2] Joyce L. Haynes, Nubia Ancient Kingdoms of Africa, Museum of Fine Arts, Boston 1992.

المبحث الثالث: في عهد الدولة الحديثة(1580 - 1085) ق.م

بعد أن بسطت الأسرة الثامنة عشر قوتها على أرض مصر مجددا وطارد «أحمس الأول» (1570–1546) ق.م الهكسوس إلى فلسطين وأسقط عاصمة الكوشيين في النوبة وأخضعها لسلطان المصريين مجددا عين عليها حاكما عسكريا وآخر يهتم بالشؤون الإدارية والاقتصادية وهو أمير« نخن» إقليم الكاب، ثم واصل ابنه «امنحتب الأول» (1546 -1526) ق.م ذلك إلى حدود الدولة الوسطى، والذي واصل الجهود المصرية في إخضاع النوبة التي يعني إخضاعها استمرار المصالح المصرية الاقتصادية هناك واستمر ذلك في عهود كل من « تحتمس الأول » (1525–1512) ق.م والذي أوصل حدود مصر الجنوبية إلى الشلال الرابع من أجل توسيع نشاط مصر الاقتصادي في النوبة والقضاء على المغيرين على المراكز النوبية هو وابنه « تحتمس الثاني» (1512-1504) ق.م كما استمرت الحملات المصرية على النوبة في عهد« تحتمس الثالث » (1458-1425)ق.م[1]

وفيما يتعلق بتفاصيل تجارة مصر والنوبة في عهد الدولة الحديثة فقد عمل ملوك مصر في عهد الدولة الحديثة على تطوير التجارة الخارجية وتنميتها مع البلدان الاخرى نتيجة ادراكهم ضرورة التبادل التجاري الخارجي لحاجة مصر الماسة للمواد الأولية الضرورية في تطور الحضارة المصرية خصوصا بعد انفتاحها على العالم الخارجي نتيجة العمليات العسكرية الواسعة باتجاه الشمال واحتكاكهم مع باقي البلدان ولمسهم التطور الحضاري فيها مما دفع الطرفان أي الدولة المصرية والنوبة وبعض البلدان المجاورة لإقامة علاقات دبلوماسية وتجارية فأصبحت التجارة شبه داخلية أي داخل دولة واحدة؛ حيث تم نقل كل ثروات هذه البلاد بين بعضها البعض دون عائق كالتجارة الحرة بين شرق وغرب وجنوب ووسط الإمبراطورية فغدت الأسواق المصرية والمراكز التجارية النوبية خليطاً من التجار والبضائع من جميع البلدان[2]

[1] Mark, J. J. **The Kingdom of Kush**. *Ancient History Encyclopedia*, 26 February 2018, Retrieved from https://www.ancient.eu/Kush/

[2] سمير أديب، المرجع السابق، ص147.

فقامت «حتشسبوت» وريثة «تحتمس الثاني» بتوسيع تجارة مصر مع الجنوب حيث حرصت على استيراد النباتات والاشجار والحيوانات التي لم تكن معروفة في مصر لتربيتها[1].

وتشيرالجزية المقدمة في عهد« تحتمس الثالث» إلى الكثير من أسماء المحاصيل النباتية، ويأتي ذكرها غالبًا مع الزيوت والعطور، ونجدها كذلك مذكورة في نقوش «تومبوس» التي من عهد «تحتمس الثالث» بجانب العطور[2]

كما كانوا يحملون معهم ما يتجاوز خمسمائة وثمانية وسبعين (578) رطلا ذهبا من إقليم «واوت» وحدها، كما قدم في السنة الحادية والأربعين من حكم «تحتمس الثالث» واردات تبلغ ثمانمائة (300) رطلا من الذهب النوبي. ولا بد أن هذه القيمة الكبيرة من الذهب تدل على قوة مظاهر الثراء، وعلى قوة السيطرة المصرية على التجارة الخارجية عموما وعلى التجارة في بلاد النوبة خصوصا، فمنها ظهور واردات جديدة من هذه البلاد نجده في جزية النوبة وهو ريش النعام وبيضه الذي يدل على نوع من الترف والثراء.[3]

ومن مظاهر التي تدل كميات الذهب الكبيرة التي كانت تشحن من النوبة ما احتوته مقبرة « توت عنخ آمون» (1347–1325) ق.م من محتويات من الذهب كالأقنعة والتوابيت، كذلك القرابين والمذابح والزوارق وعربات المواكب، وكانت بعض المعادن تطرق على شكل ألواح رقيقة وكانت تستخدم هذه الألواح لتزيين القصور والمعابد وكذلك المقابر وكلها كانت تأتي من مناجم النوبة بالصحراء الشرقية .[4]

هذا ولم تكن الفضة بأقل استيرادا من الذهب في أيام الدولة الحديثة، وقد وردت في كثير من نصوص الجزية ـ كانت تأخذ من إقليم «واوت» كل ثمانية أعوام ومن إقليم «كوش» كل خمسة أعوام ـ وفي المقابر كبار الكهان وأصحاب الوظائف في الدولة في عهد «تحتمس

[1] سميرأديب، المرجع السابق ، ص 253.
[2] سليم حسن، المرجع السابق، ج4، ص 356.
[3] فاضل كاظم و ظفر نعمة عيلان، **المعادن والأحجار الكريمة وشبه الكريمة في بلاد النوبة وأهميتها في مصر أبان الفترة(1580- 1585)ق.م** ،مجلة لارك للفسلفة ووالسانيات والعلوم الاجتماعية، ج1، ع1، 31جانفي 2018، ص245.
[4] محمد الخطيب، مصر أيام الفراعنة، منشورات علا الدين، ط1، دمشق،2001.ص 140، انظر الصورة رقم ص85 لأحدى مراكب الشحن في الدولة الحديثة.

الثالث»، إذ كانت تتواجد في مناطق نوبية كثيرة والتي امتدت فيها سيطرة مصر أبعد من الشلال الثالث.[1]

ومن المواد التي لا تخلو منها السلع التي كانت تُقَدَّمُ جزية للفرعون الفهود وجلودها . وكانت جلود هذا الحيوان تُوَرَّدُ إلى مصر منذ الدولة القديمة. ويرجع ذلك بعض المؤرخين إلى اتساع النفوذ المصري وبتطوير النشاط الزراعي وتربية الحيوان في بلاد النوبة السفلى مما جعلها تورد لمصر الكثير من المحاصيل سنويا[2]

كما كانت كلاب الصيد التي تُستعمل في مصر ترد مع الجزية من بلاد النوبة، إضافة إلى الزرافات، والقردة، وتوريد الزرافات الحية فلم يحدث إلا في عهد الدولة الحديثة ، إضافة إلى الماشية والتي تعد من الأمور الاقتصادية الهامة التي ترد من النوبة لمصر كانت تأتي إلى مصر ضمن الجزية، ومنها الثيران وكذلك الغزلان.[3]

إلى جانب ذلك ظهرت منتوجات صناعية نوبية منها كراس ومقاعد ودروع وأقواس وسهام وتحف ذهبية، وكذلك بعض المصنوعات المصفحة بالذهب، إضافة إلى بعض الأعمال الخشبية.[4]

ويمكن القول أن السلم في علاقتها مع النوبة قد ساهم في هذه الرفاهية المصرية، وهو ما نراه في عهود كل من خليفة «تحتمس الثالث «أمنوحتب الثاني» الذي ركنت النوبة خلاله إلى السلم، وقام ببنا معبد بالنوبة السفلى، كما كان عهد تحتمس الرابع الذي حيث نسجل قيام حملة واحدة على النوبة كما حصل في عهد ابنه «أمنوحتب الثالث» الذي تدلنا الوثائق على أنه لم تقم هناك حروب خلال فترات طويلة من سنوات «أمنحوتب الثالث» (1405- 1370) ق.م الستة والثلاثين فلم يسجل أنه قام بحرب واحدة؛ غير حملة واحدة على بعض القبائل النوبية، في السنة الخامسة من حكمه، وقد زاد إنتاج مصر من الذهب ويدلنا على ذلك طلب

[1] سليم حسن، المرجع السابق، ج5، ص388.
[2] انظر: نجم الدين محمد شريف، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص278.
[3] المرجع نفسه، ص278.
[4] انظر: محمد راشد حماد، أشغال النجارة في مصر القديمة(نجارة الأثاث والعمارة)سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، القاهرة ، 2012. ص 58-60.

أحد حكام بلاد الشام من أمنحوتب الثالث إرسال كميات الذهب من قائلا إن " الذهب كالتراب في مصر" [1].

كما لم تتأثر هذه الحالة من السلم بتلك الاضطرابات السياسية التي نتجت عن الثورة الدينية[2] في عهد« أمنوحتب الرابع» (1370-1350) ق.م فاستمرت عملية تنظيم التجارة وبناء المعابد في النوبة من أجل ترسيخ السيطرة المصرية على المنطقة. [3]

وحافظ القائد «حور محب » (1323 - 1295) ق.م الذي قاد السلطة المركزية في مصر بعد « توت عنخ آمون» فلم يؤثر على تجارتها الداخلية والخارجية بل إنه قاد حملة إصلاحات على سلك القضاء والاقتصاد، كما طاف بالنوبة من أجل كسب ولاء الإدارة المصرية هناك مما يدل على قوة هذه الأخيرة ونفوذها السياسي[4]

كما بذل ملوك الدولة الحديثة وأبرزهم «حور محب» جهدا كبيرا في تنظيم النشاط التجاري عبر تأمين وحماية الأسواق والمعاملات الضريبية ؛ فكانت عقوبة قطع اليد تقع على كل من يرتكب جريمة التطفيف في الكيل أو يزيف الأختام أو العقود أو الغش أو تزييف السجلات العامة.[5]

كما انتشرت ظاهرة وضع الأختام لتمييز الأوعية التي يوضع فيها النبيذ كنوع من أنواع الرقابة وكان يحتوي الختم على اسم المنتج ونوعه وتاريخ انتاجه.[6]

---

[1] أحمد رشاد موسى، المرجع السابق، ص247.

[2] اعتلى أمنوحتب العرش عام 1370 ق.م وفي عامه السادس غير اسمه إلى أخناتون ودعا إإلى عباد إله جديد عرف بآتون ونقل العاصمة من طيبة إلى موقع جديد عرف ب خت أتون والمعروف بتل العمارنة لإأحدث انقلابا في النظام السياسي والديني ، أصبحت بسببه العاصمة القديمة مهجورة كمنف وطيبة عاطلة عن العمل، كما حرم ذكر وعبادة الآلهة القديم والطقوس المقدمة لها ودعا إلى عبادة إله مشخص، ولكن بوفاة أخناتون رجعت الدولة المصرية إلى ديانتها القديمة وطقوسها انظر: دونا لدريد فورد، اخناتوون ذلك الفرعون المارق، ترجمة بيومي قنديل، دار الوفاء، الإسكندرية، 2000، ص 155-156.

[3] محمد الخطيب، حضارة مصر القديمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، القاهرة، 1993. ص52.

[4] المرجع نفسه، ص 52

[5] سليم سعيدي، القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (2050-332)ق.م مقارنة تاريخية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري ـ قسنطينة ـالجزار 2010/2009. ص 62-63.

[6] أحمد رشاد موسى، المرجع السابق، ص 255

إلى جانب ذلك عملت على توطيد مراكزها التجارية في النوبة والتي امتد استغلال مناجمها وخيراتها إلى الشلال الرابع، فأسندت إدارة النوبة إلى حاكم عام ينوب عن الملك ومنح الكثير من ألقاب الشرف، وتوالى على هذا المنصب حوالي ثمانية وعشرون حاكما بدء ا من عهد «أمنحتب الأول» (1550–1557) ق.م إلى نهاية الأسرة العشرين (1187-1075)ق.م وكان اللقب هو «ابن الملك» أو «المشرف على بلاد الذهب الخاص بآمون» ويدل على ارتباطه بتجارة النوبة؛ وخاصة الذهب، كما كان يشرف عن أمن الإقليم وحمايته، إلى جانب تحصيل الجزيات والغرامات، وإنشاء المخازن، وحفر الآبار وكان يعينه في ذلك نائبان أحدهما في «ووات» والتي تقع بين مصر والشلال الثاني ويقيم في عنيبة، والآخر في «كوش» والتي تشمل باقي النوبة من الشلال الثاني والثالث والرابع ويقيم في عمارة، كما عمل تحت يده الكثير من الموظفين المصريين والنوبيين[1]

إذا فقد شهدت التجارة المصرية النوبية في هذا العصر تطورا وتنظيما كبيرا وأصبحت سبل التواصل بين النوبة ومصر أكثر سهولة خاصة مع تعيين حاكم عام عليها، حيث كرس فيها نظاما إداريا يشابه النظام المعمول به في مصر. وعدّت النوبة خلال هذه الفترة امتداد طبيعيا لمصر بدليل اهتمام الملك شخصيا بأمورها وتجارتها خاصة، وانشأت بها الكثير من المعابد والمدن في: نبتة وعنيبة وصلب وذلك لتوطيد السيطرة على تلك البلاد[2]

اتصف عهد الدولة الحديثة عموما وعصر الأسرة الثامنة عشر بقدر ملحوظ من الرخاء الاقتصادي وذلك بالنظر إلى مخلفات هذا العصر من قصور ومعابد وكنوز المقابر ، كما توسعت سيطرة مصر السياسية والاقتصادية على أماكن أوسع في النوبة؛ وشهدت فترة من السلام ، ونرى أن هذا نتيجة مبادرات ملوكها إلى إصلاحات إدارية واقتصادية مهمة.[3]

أخذ النفوذ المصري يتراجع في النوبة بعد عقود من السيطرة، وانتهى عهد الإدارة المصرية مع هذا التراجع، فأخذ الحكام النوبيون المحليون يفرضون سيطرتهم من جديد،

[1] سليم حسن، المرجع السابق، ج10، ص347.
[2] ج لكلان، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص280
[3] مختار السويفي، أم الحضارات ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان، العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1999، ج1، ص117.

وتمثل سقوط وانهيار الدولة الحديثة في نهاية الأسرة العشرين وذلك بعد وفاة «رمسيس الحادي عشر» (1085 ق.م)؛ حيث انتشرت الفوضى في مصر وبدأ عصر مظلم في النوبة استمر حتى القرن الثامن قبل الميلاد حين برزت كوش كقوة كبرى.[1]

[1] ج لكلان، تاريخ إفريقيا العام ، المرجع السابق، ص280

الخاتمة

مـن خـلال العـرض السـابق لفصـول هـذا البحـث والـذي عرضـنا فيهـا لدراسـة تـاريخ تطورعلاقة مصر القديمـة بـأقرب جيرانهـا من جهـة الجنـوب الإفريقـي ألا وهـي بـلاد النوبـة، وجعلتنـا نقـف علـى تـأثر تلـك الأقطـار المجـاورة بـالتطور الحضـاري والاقتصـادي لهـذه الحضارة العظيمة.

وقد خرجنا منها بجملة من الاستنتاجات نعرضها كالتالي:

ـ أن النوبة بقوتها الاقتصادية ومواردها كانت ذات قيمة عظمى لمصر وكانت مصر تجلب الذهب وسلعا كثيرة من مراكزها في كرمة وغيرها بكميات ضخمة، وقد نجم عن كل هذا قوة سياسية وعسكرية وتجارية مكنتها أن تطمع في التوسع خارج حدودها في الشمال أي في أسيا وباقي قارة أفريقيا .

ـ ضمنت خيرات النوبة وموردها خاصة الذهب الرفاهية والرخاء للملوك المصريين كما مثلت فرصة عمل للعديد من عامة الشعب منهم، مما جعل مصر على تعاقب فتراتها تسعى إلى السيطرة عليها وتقوية نفوذها كل مرة، ومن ثَمَّ أصبحت لمصر مكانة ممتازة في شرقي البحر الأبيض المتوسط، لا بفضل محاصيلها الخاصة وحسب، بل كذلك بالدور الفاصل الذي كانت تقوم به موارد الثروة الغنية التي كانت تستولي عليها من بلاد النوبة.

ـ مع ازدياد نفوذ وهيبة مصر الموحدة، اتجهت جنوبًا صوب التجارة مع النوبة، واستعملت في ذلك جملة من الأساليب السياسية والعسكرية والثقافية .

ـ ما لبثت أن أصبحت النوبة بجزئيها بكاملها تحت السيطرة المصرية، وكان السبب الرئيسي للنفوذ المصري في النوبة هو استغلال مناجم الذهب والفضة وغيرها من خيرات القطر، إلا أن هذا أدى إمتداد العبادة والمعابد والثقافة المصرية في النوبة عبر سياسة التمصير.

ـ أدى أخضاع النوبة إلى السيطرة المصرية ظهور عهد جديد من العلاقات بين القطرين عرفت فيه الاقتصاديات النوبية تطورا في الناحية الصناعية والتجارية، كما التحق الكثير من العمال النوبيون بالحصون للحصول على وظائف أو الإتجار مع سكانها، مما طور تلك العناصر الحضارية لدى تلك الشعوب.

ـ سارت علاقة مصر مع النوبة كم الناحية التجارية بمراحل الركود السياسي فكانت الحدود المصرية تمتد تدريجياً تجاه النوبة إبان حكم الملوك الأقوياء، بينما تنحصر في عصر الأسرات الضعيفة، فامتدت في عصر الأسر الحادية عشرة والثانية عشرة والثامنة عشرة، وكذلك خلال العصر البطلمي حيث امتد حكم البطالمة في بلاد النوبة؛ ولم تكن هناك مشكلات تُذكر بين مصر وبلاد النوبة، ولكنها كانت تنحصر تحت حكم الأسرات الضعيفة وهو ما حدث في فترتي الاضمحلال الأول والثاني

ـ قللت مصر حملاتها على النوبة ببداية الدولة الحديثة حيث عملت على توطيد مراكزها التجارية في النوبة والتي امتد استغلال مناجمها وخيراتها إلى الشلال الرابع، كما حكمت من خلال إدارة مشابهة للموجودة في مصر، وفأسندت إدارة المنطقة إلى حاكم عام ينوب عن الملك .

ـ في العصور القديمة كانت بلاد النوبة ذات حضارة وثقافة مستقلة منذ عام 3200 قبل الميلاد، ومع احتكاكها بحضارة مصر أصبحت ذات مكانة مهمة لعبت دورا حضاريا وطريقًا تجاريًا حيويًا لمصر؛وبوابة نحو إفريقيا، ونرى أن الدليل على استقلال النوبة ثقافة وحضارة منذ القدم هو أنها لم ترضخ بسهولة للقوة المصرية بل كانت عبر حملات دائمة ومتستمرة.

الملاحق

أولا: الصور

الصورة1: حجر باليرمو.

أحمد فخري ، مصر الفرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مكتبة الأسرة، ط3، 2012،ص158

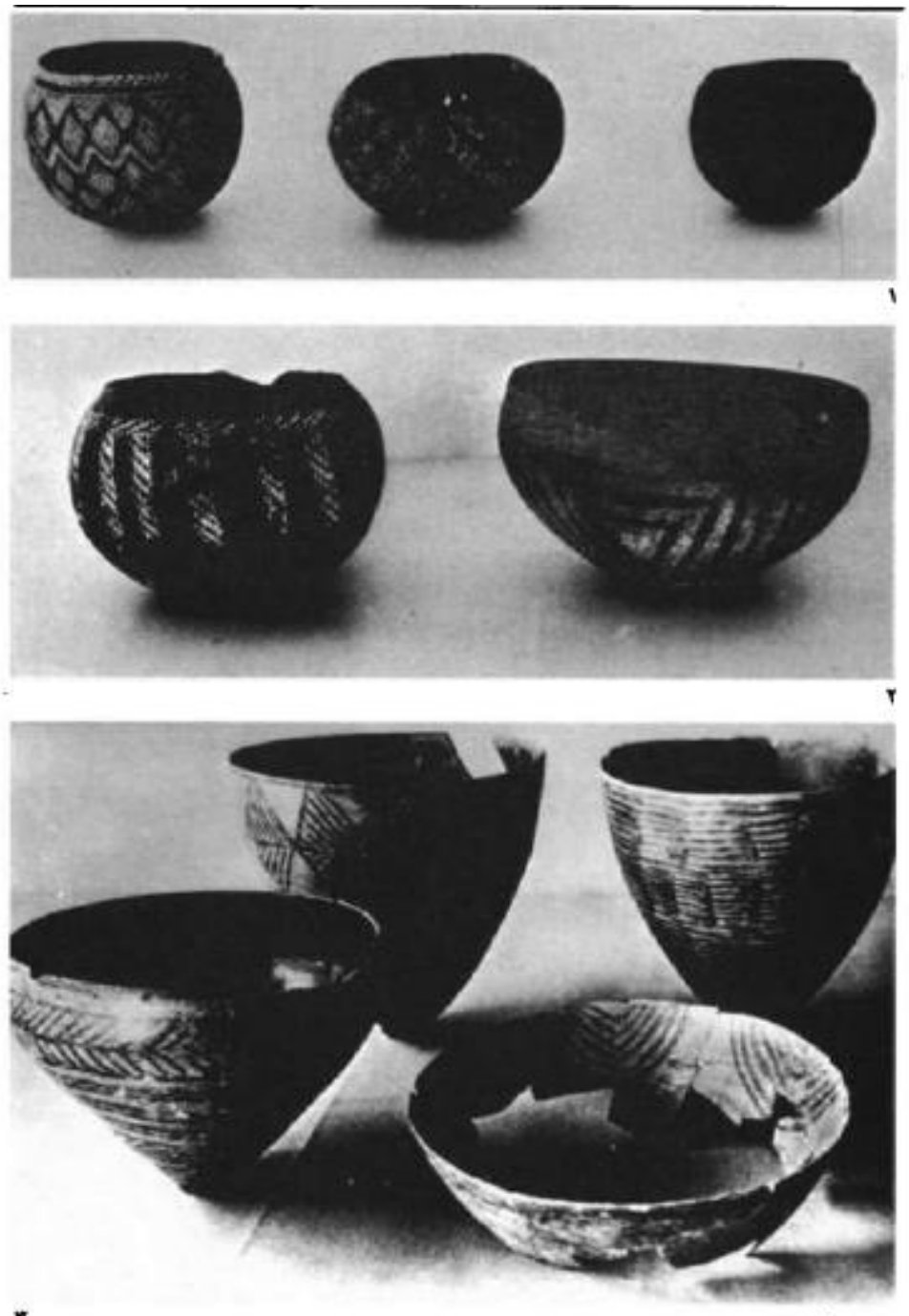

١

٢

٣

١و٢و٣ أوان فخارية مختارة من كرمة.

الصورة2 : فخار من حضارة كرمة

تاريخ أفريقيا العام ص263

.

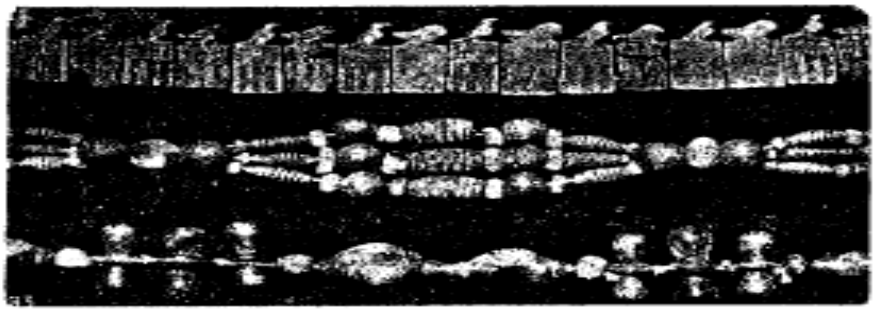

أساور من الأسرة الأول

تاج من الذهب مطعم بالأحجار الكريمة لإحدى أميرات الأسرة الثانية عشرة

سوران من الذهب تعود للملك رعمسيس الثاني

الصورة3: حلي ذهبية من أسر فرعونية.

ناجي شوقي بطرس، ، الذهب في مص، ص 284.

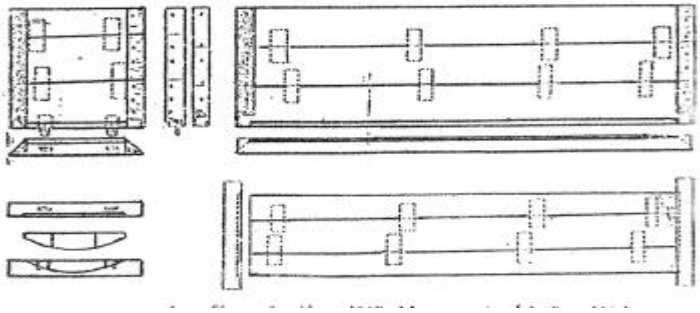

.

(شكل : ١٦٠) صناعة توابيت بهيئة آدمية،دولة حديثة

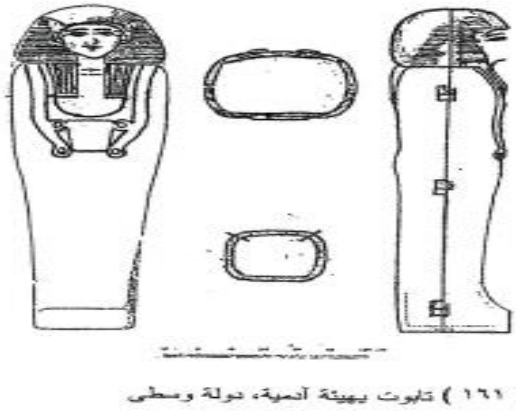

(شكل : ١٦١) تابوت بهيئة آدمية، دولة وسطى

الصورة4: بعض أشكال التوابيت المصرية..

محمد راشد حماد, أشغال النجارة في مصر القديمة(نجارة الأثاث والعمارة)سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، القاهرة ، 2012. ص 58.

.

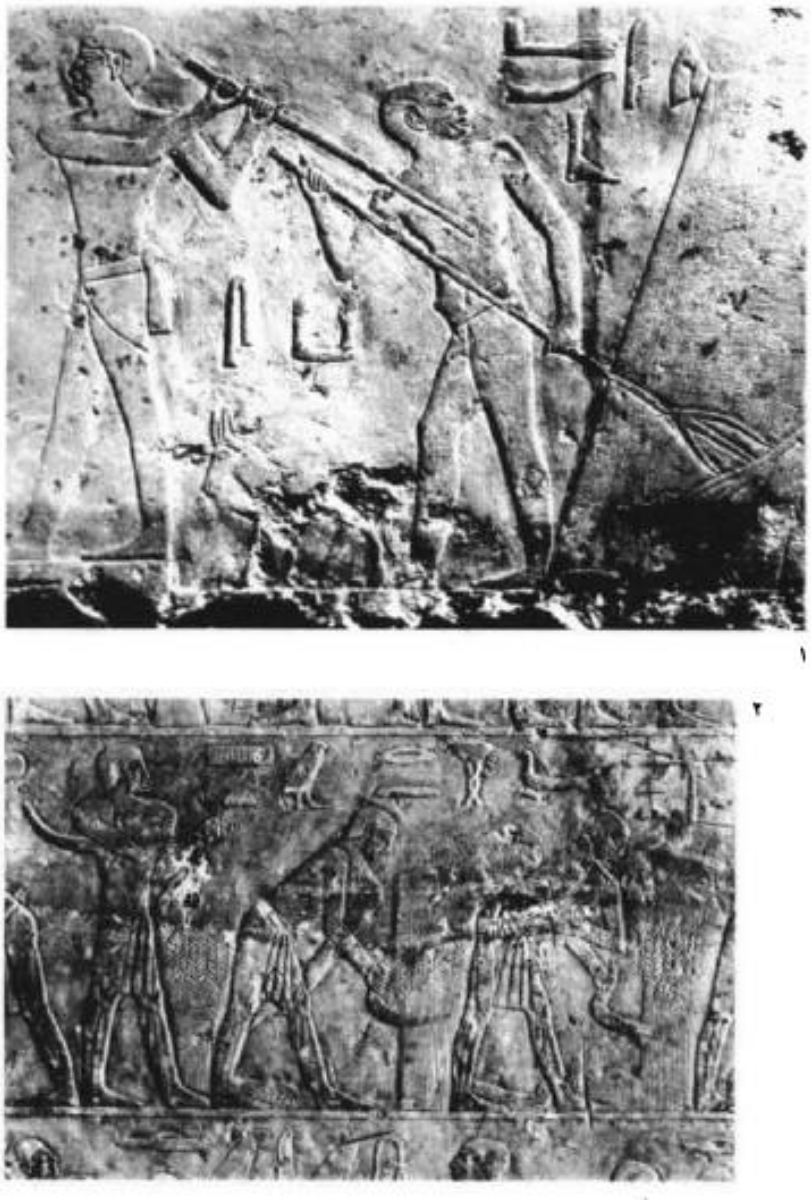

االصورة5: فلاجون مصريون يعملون في حصاد القمح وتكديس التبن .

تاريخ إفريقيا العام، ص105

التحصينات الغربية في حصن بوهن من عهد الدولة الوسطى

الصورة 6: أحد حصون الدولة الوسطى حصن بوهن.

تاريخ إفريقيا العام، ص 260.

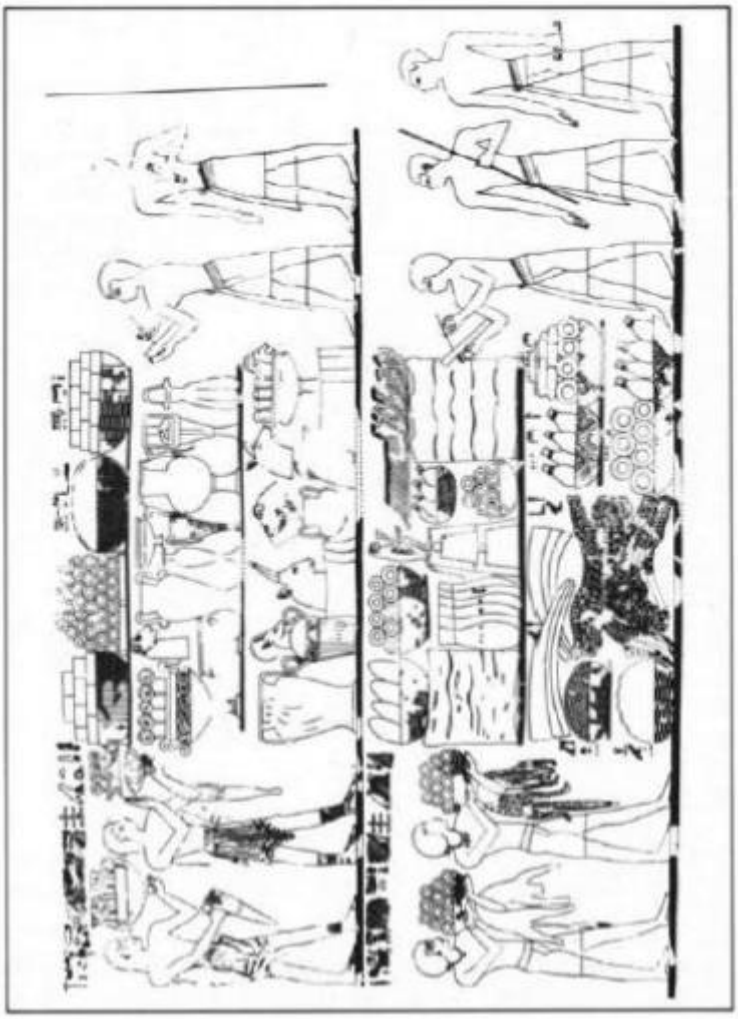

الصورة 7: يمثل تقديم الجزية النوبية، تاريخ إفريقيا العام ص 137

الصورة 8 : فخار من حضارة كرمة

Fired Clay, Kerma, Cemetery, 1700–1550 BC (Classic Kerma (Period

2- الجداول:

	مصر	المجموعة الحضارية في النوبة		ملاحظات
قبل الميلاد				
٣٢٠٠	الأسر ١-٣	(أ)	A	ما سبق ربما كان مرتبطًا بحضارة مصرية
٢٨٠٠	الأسر ٣-٥	(ب)	B	«عمرة وجرزا والسمانية» أما ما سبق «بدارى وتاسا» فلم يعثر لهما على أثر
٢٤٠٠	الأسر ٦-١٣	(ج) المبكرة	C	حضارة كرما في النوبة العليا
١٨٠٠	الأسر ١٤-١٨	(ج) المتأخرة	C	قبور دائرية
١٥٦٥	الأسر ١٨-٢٠	(د)	D	

الجدول1: المجموعات الحضارية بالنوبة بدلالة الأسرات المصرية حتى الأسرة العشرين، محمد رياض،و كوثر عبد الرسول، رحلة في زمان النوبة: دراسة للنوبة القديمة ومؤشرات التنمية المستقبلية، مؤسسة الهنداوي، 2014 ص144.

3- الخرائط:

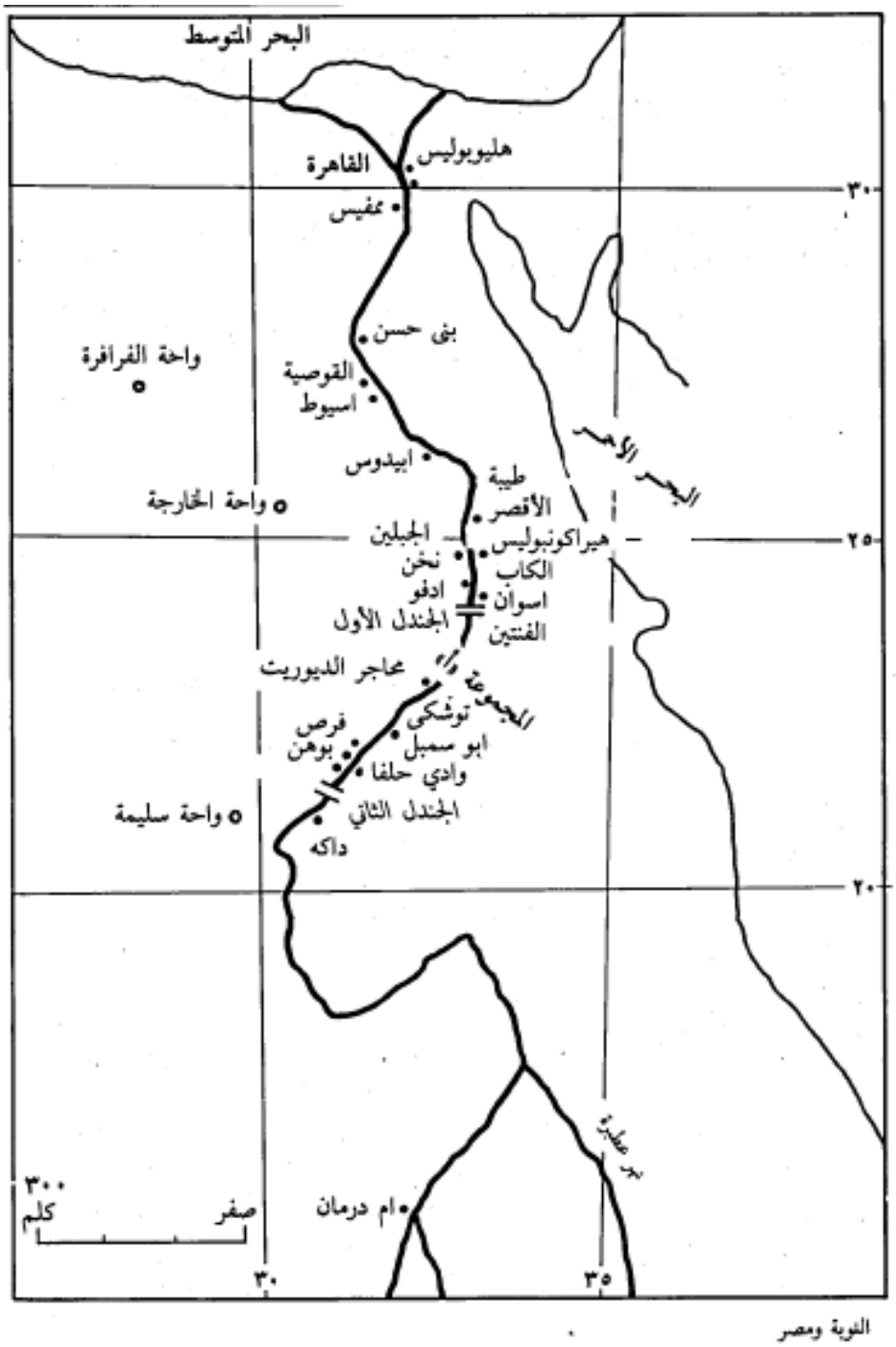

الخريطة1: موقع المجموعة الأولى A

تاريخ افريقيا العام، مج 2، إشراف: د.جمال مختار، تر: أحمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون،جين أفريك/ اليونيسكو، 1985.ص 248.

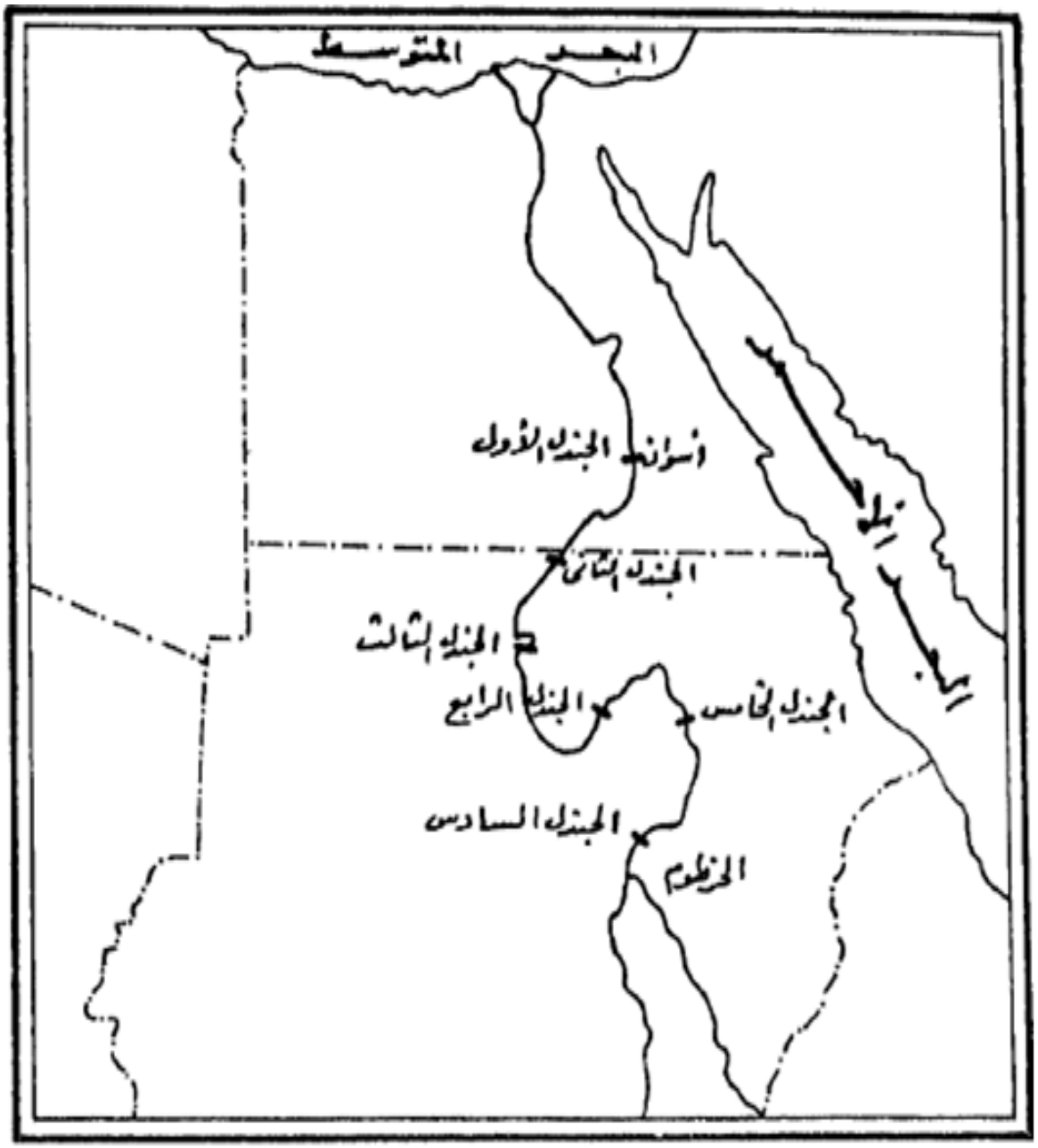

الخريطة2: شلالات الستة على مجرى نهر النيل بين مصر والنوبة.

الانترنت https://arz.wikipedia.org/wiki/

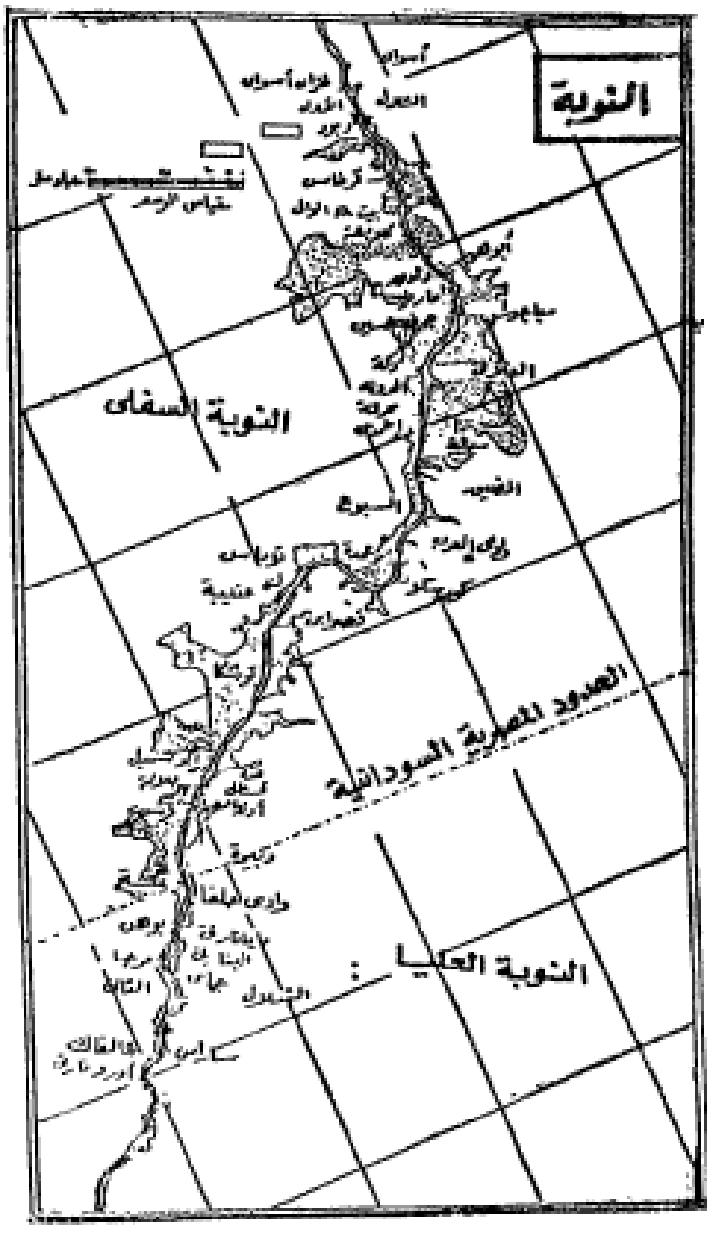

الخريطة3 : أجزاء النوبة في مصر والسودان.

جيمس بيكي، الأُثار المصرية في وادي النيل، تر: نورالدين الزراري، مر: محمد جمال مختار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1994.ص16.

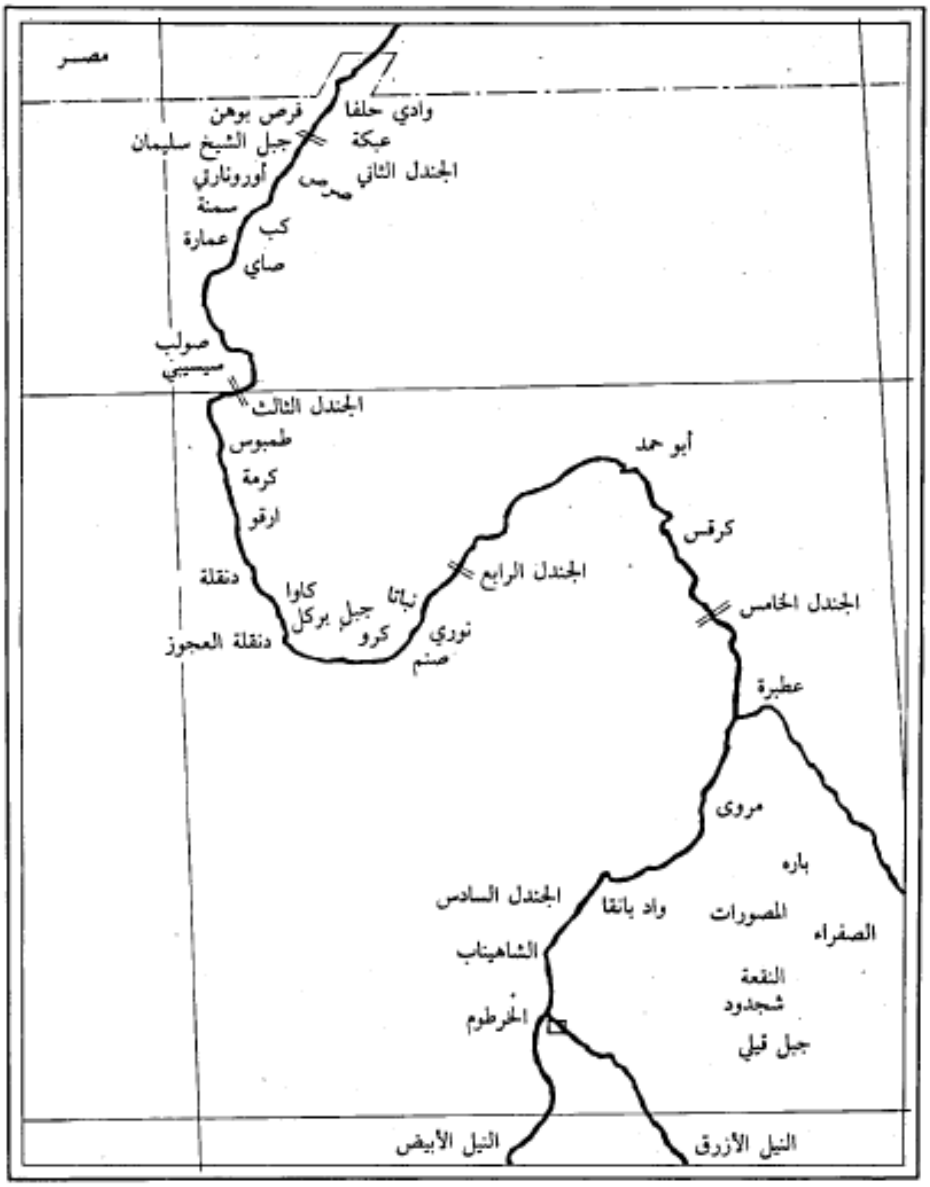

الخريطة4 : النوبة العليا السودانية

تاريخ إفريقيا العام ص240.

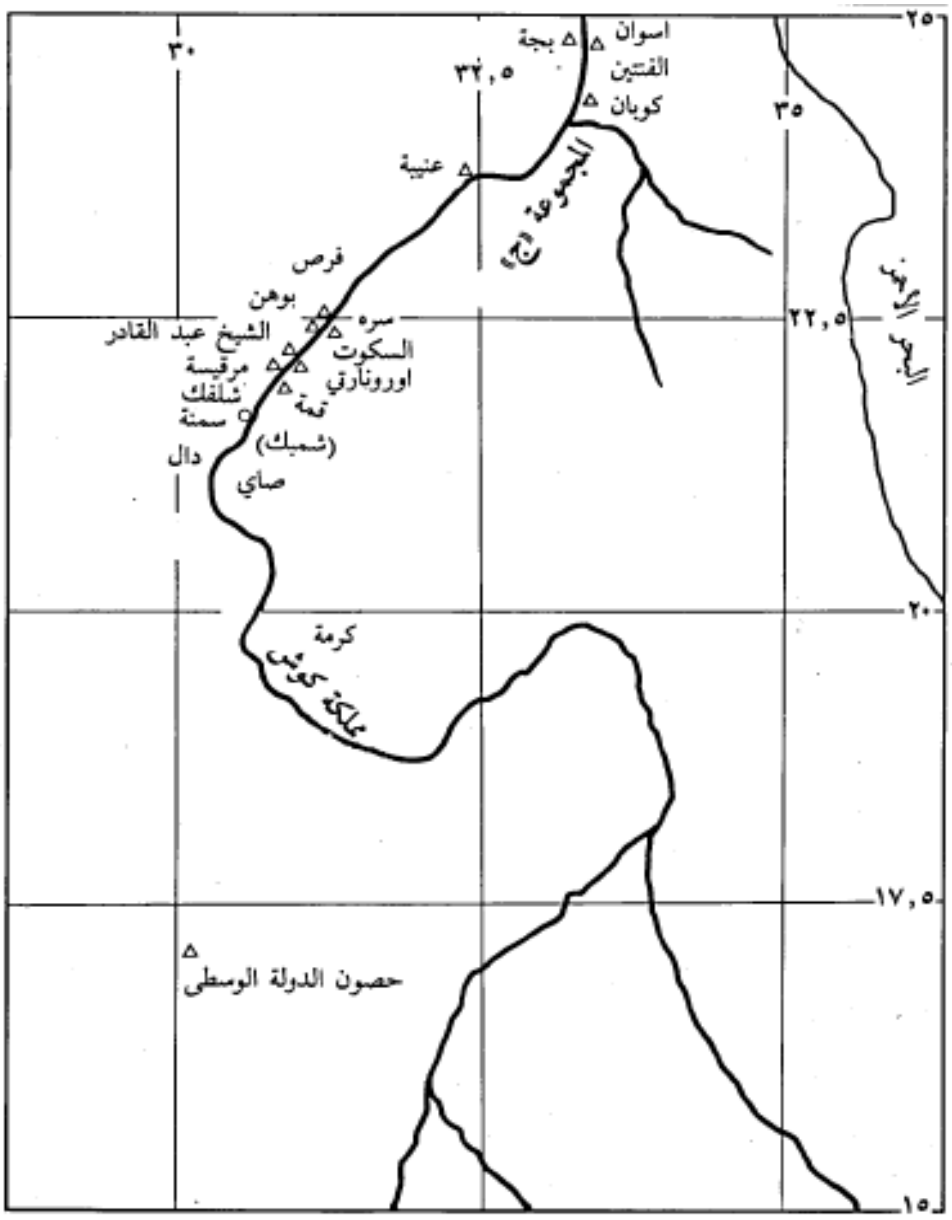

النوبة سنة ١٥٨٠ ق.م.

الخريطة 5: الحصون المشيدة في عهد الدولة الوسطى.

تاريخ إفريقيا العام، ص257.

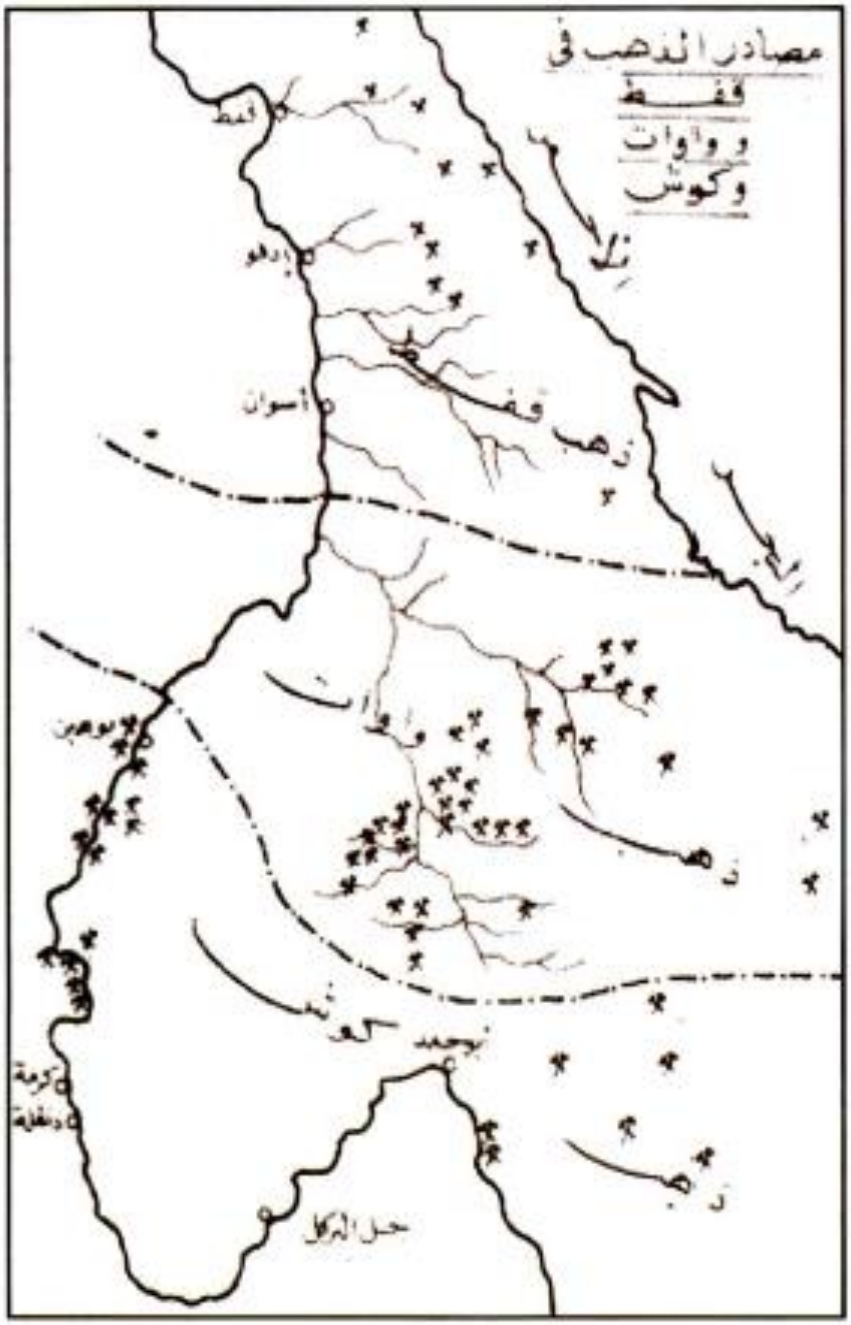

الخريطة6 : مصادر الذهب في النوبة.

ناجي شوقي بطرس، ، الذهب في مصر:هل ذهب الذهب مع الفراعنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2015، ص270.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: باللغة العربية:

المصادر:

القرءان الكريم

المراجع :

1. إبراهيم بكر، محمد، المدخل إلى تاريخ السودان القديم، د د ن ، د ط .
2. إبراهيم نمر سيف الدين زكي علي أحمد نجيب هاشم محمد شفيق غربال، مصر في العصور القديمة صفحات من تاريخ مصر الفرعونية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.
3. أديب، سمير، تاريخ وحضارة مصرالقديمة ، مكتبة الأسكندرية، الأسكندرية، 1997.
4. إرمان، أدولف، رائكه، هرمان ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، تر: عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1952.
5. انطون زكري : النيل في عهد الفراعنة والعرب, مكتبة مدبولي, القاهرة، 1995.
6. بطرس، ناجي شوقي، الذهب في مصر:هل ذهب الذهب مع الفراعنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2015.
7. بيكي، جيمس ، الأُثار المصرية في وادي النيل، تر: نورالدين الزراري، مر: محمد جمال مختار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1994.
8. جان فيركوتيرر، مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، دارالفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1992. .
9. الجنابي، قيس حاتم ، تاريخ الشرق الأدني القديم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2014.

10. حسن، سليم موسوعة مصر القديمة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2012، ج10.

11. ـــــــــ موسوعة مصر القديمة، موسوعة مصر القديمة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2018، ج5.

12. ـــــــــ موسوعة مصر القديمة، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة، 2017، ج4.

13. ـــــــــ موسوعة مصر القدسمة، مؤسسة هنداوي للتعليم والنثقافة، القاهرة، 2019، ج 11

14. ـــــــــ موسوعة مصر القديمة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2017، ج3.

15. حسين الإيباري و حسين يوسف، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، دار العلم، القاهرة، 2004,

16. حسين،عبد الله، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية ، ج1، مؤسسة هنداوي، القاهرة 2013.

17. خالد الجمال، نجوى ، الدور السياسي والحضاري لمصر الفرعونية في منطقة الشرق الأدنى القديم ، د ط، دار النهضة العربية، بيروت.

18. الخطيب، محمد، حضارة مصر القديمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، القاهرة، 1993.

19. الخطيب، محمد، مصر أيام الفراعنة، منشورات علا الدين، ط1، دمشق،2001.

20. دومينيك قالبيل، الناس والحياة ي مصر القديمة، تر: ماهر جويجاني، دارالفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

21. رزقانة، إبراهيم وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، د ط، مصر للطباعة، مصر، د ت

22. رياض، محمد و عبد الرسول، كوثر، رحلة في زمان النوبة: دراسة للنوبة القديمة ومؤشرات التنمية المستقبلية، مؤسسة الهنداوي، 2014.

23. سليم، أحمد أمين، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 2014.

24. الشتلة، إبراهيم يوسف ، جذور الحضارة المصرية ، مطبعة بركات، القاهرة، 1998.

25. صادق، مجدي ، التاريخ الحقيقي لمصر القديمة، د د ن، 2002.

26. عصفور، محمد أبو المحاسن، علاقات مصر بالشرق الادنىالقديم من اقدم العصور إلى الفتح اليوناني، مطبعة المصري، الاسكندرية ،1962.

27. ف دياكوف و س كوفاليف ، الحضارات القديمة، ترجمة : نسيم واكيم اليازجي ، ط 1 ، دمشق ، 2006 ، ج1 .

28. فخري، أحمد، مصر الفرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة، ط3، 2012.

29. فورد، دونا لدريد، اخناتوون ذلك الفرعون المارق، ترجمة بيومي قنديل، دار الوفاء، الإسكندرية، 2000.

30. قابيل، علاء الدين محمد، تاريخ بلاد النوبة القديم وآثارها، دار الفكر العربي، القاهرة 2006 .

31. لوكاس، ألفريد، المواد والصناعات عندالقدماء المصريين، تر: محمد زكرياء غنيم، دار الكتاب المصري، د ب، دت.

32. محمد راشد حامد، أشغال النجارة في مصر القديمة، رسالة ماجستير منشورة، جامعة القاهرة، 1996.

33. محمد راشد حماد, أشغال النجارة في مصر القديمة (نجارة الأثاث والعمارة)، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، القاهرة ، 2012.

34. موسى، أحمد رشاد، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، المجلس الأعلى للثقافة، د.ب، 1998.

35. الناصري، أحمد علي ، دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وأفريقيا في عصور ما قبل الإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990.

36. نور الدين، عبد الحليم، تاريخ وآثار النوبة، إعداد: مهاب درويش، مكتبة الأسكندرية، د ت.

37. ولاس بدج، آلهة المصريين، تر: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

38. وليم نظير، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، الهيئة المصرية العام للتأليف والنشر، 1970.

39. اليونيسكو، تاريخ افريقيا العام، مج 2، إشراف: د.جمال مختار، تر: أحمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون،جين أفريك/ اليونيسكو، 1985.

الدوريات :

1. أحمد قسم السيد، علي ، **تاريخ وجغرافية بعض بلاد النوبة من خلال النقوش المصرية في عهد المملكتين القديمة والمتوسطة،** Bulletin of Sudanese Studie، 1989، 96– 11

2. شمخي جابر ، إيمان ، **التجارة في مصر القديمة،** كلية الآداب جامعة البصرة، العدد20، 2016، 59-98 .

3. عمر عبد الجبار، نعمات ، **تاسيتى (أرض القوس) بلاد الكوشيين والنوبيين رماة الحدق،** مجلة الدراسات السودانية، مج17، أكتوبر 2011، ص 92-122

4. فاضل، كاظم و ظفر، نعمة عيلان، **المعادن والأحجار الكريمة وشبه الكريمة في بلاد النوبة وأهميتها في مصر أبان الفترة (1580– 1585) ق.م** ،مجلة لارك للفسلفة والسانيات والعلوم الاجتماعية، ج1، العدد1،31جانفي 2018.

5. محمد نبيل، إيمان، **تكنيك صناعة وتشكيل التوابيت الخشبية في مصر القديمة** ، دراسات في آثار الوطن العربي، د ت ن، ص32-58.

الرسائل العلمية:

1. سليم سعيدي، **القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (2050-332)ق.م دراسة مقارنة تاريخية،** مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري ـ قسنطينة ـالجزار 2010/2009.

2. عبد الفتاح محمد السوداني، أمينة ، **المناجم والمحاجر في مصر القديمة منذ بداية الدولة القديمة وحتى نهاية الدولة الحديثة،** مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، جامعة طنطا، 2000م

3. القسيم فرحنا حمدت الله، الصادق ، **السمات الكوشية في النحت الفرعوني فترة الأسرة الخامسة والعشرين،**مذكرة لنيل شهادة دكتوراه في الفنون، جامعة السودان ، 2016

ثانيا: باللغة الأجنبية

الدوريات:

1. David N. Edwards, **The Nubian Past: An Archaeology of the Sudan,** New York: Routledge, 2004. Pp212- 230 .
2. Henriette, Hafsaas **«Hierarchy and Heterarchy. The Earliest Cross-Cultural Trade along the Nile». Between the Cataracts**. Proceedings of the 10th Conference for Nubian Studies. Londres, 2009,pp.40 -20
3. Ibrahim Anoba ,**Commerce and Trade in Ancient Africa: Kush,** libertarianism.org ,Feb 26th, 2019.
4. Joyce L. Haynes, **Nubia Ancient Kingdoms of Africa**, Museum of Fine Arts, Boston 1992.
5. Julia Budk **, The new kingdom in nubia: ne resultes from current excavations on Sai island,** Originalveröffentlichung in: Egitto e vicino oriente 37, 2014 ,p p 87-55
6. Mark, J. J. **The Kingdom of Kush ,** Ancient History Encyclopedia, 26 February 2018 .
7. O'Connor, David**"Ancient Egypt and Black Africa"** Expedition Magazine 14.1 (1971): n. pag. Expedition Magazine. Penn Museum, 1971 Web. 16 Jul 2020 ..

8. Yvanez ,Elsa et Magdalena ,M. Wozniak **,Le coton en Nubie et au Soudan anciens** ,archéologiques et implications historiques , June 2019

مواقع إلكترونية:

http://www.penn.museum/sites/expedition/?p=2262

https://doi.org/10.4000/ethnoecologie.442

https://www.ancient.eu/Kush/

https://www.libertarianism.org/columns/commerce-trade-ancient-africa-kush

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	
إهداء	
قائمة المختصرات الواردة في البحث	
مقدمة	أ ـ هـ
مدخل	10
الفصـــــل الأول: الإطار التاريخي والجغرافي لمصر القديمة وبلاد النوبة	16
المبحث الأول: الإطار التاريخي والجغرافي لمصر القديمة	16
المبحث الثاني: الإطار التاريخي والجغرافي لبلاد النوبة	20
الفصـــــل الثاني: النشاط الاقتصادي لمصر القديمة وبلاد النوبة	28
المبحث الأول: النشاط الاقتصادي لمصر القديمة	28
المبحث الثاني: النشلط الاقتصادي لبلاد النوبة	39
الفصل الثالث: تجارة مصر مع بلاد النوبة ما بين(2900 ـ 1085) ق.م	48
المبحث الأول: في عهد الدولة القديمة (2900 - 2280) ق.م	48
المبحث الثاني: في عهد الدولة الوسطى (2060 - 1785) ق.م	54
المبحث الثالث: في عهد الدولة الحديثة (1580 -1085) ق.م	60
الخاتمة	67
الملاحق	70
قائمة المصادر والمراجع	86
فهرس الموضوعات	94